

الصحابي العالم المجاهد

(تمحيص حقائق ورد افتراءات)

عبد الحميد محمود طهماز

الطبعة الأولى
١٤١١هـ - ١٩٩١م

حقوق الطبع محفوظة

دار القلم
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - حلبوني - ص.ب : ٤٥٢٣ - هاتف : ٢٢٩١٧٧
بيروت - ص . ب : ١١٣/٦٥٠١

أبو موسى الأشعري


بسم الله الرحمن الرحيم

هـذا الرجـل

● «اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبَه، وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً».

النبي صلى الله عليه وسلم

● كان عالماً عاملاً صالحاً تالياً لكتاب الله، إليه المنتهى في حُسن الصوت بالقرآن، روى علماً طيِّباً مباركاً، أقرأ أهلِ البصرة وأفقهُهم.

الإمام الذهبي

● قضاة الأمة: عمر، وعلي، وزيد، وأبو موسى.

الإمام الشَّعبيّ

● ● ●



بسم الله الرحمن الرحيم

المقـدّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وإمام المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن الصحابة رضي الله عنهم هم حَمَلَةُ الإسلام، وأَمَنَتُه وحفظتُه بعد رسول الله ﷺ. اختارهم الله تعالى واصطفاهم لصحبة نبيه ﷺ، والجهاد معه، ونشر رسالته من بعده، فقاموا بذلك خير قيام. أكرمهم الله تعالى فعدَّلهم، وزكَّاهم، وبشرهم في عدد من آيات التنزيل الحكيم، يكفي أن نذكر منها قوله الكريم: ﴿محمد رسول الله، والذين معه أشدّاءُ على الكفار، رحماء بينهم، تراهم رُكَّعاً سُجَّداً، يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، سيماهم في وجوههم من أثر السجود...﴾[1] الآية.

---

(١) الفتح: الآية ٢٩.

فالواجب على كل مسلم أن يعرف قدرهم ومنزلتهم، فلا يذكرهم إلا بكل خير، ويصون لسانه وقلمه عن كل ما يمسهم ويؤذيهم رضي الله عنهم.

وهذا الكتاب يتناول حياة علم كبير من أعلامهم، هو أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، وقد أردت أن يكون هذا الكتاب متمماً لما بينته في كتابين سابقين عن السيدة عائشة أم المؤمنين، وعبدالله بن عباس رضي الله عنهما، من مواقف الصحابة من الأحداث الكبيرة التي واجهتهم بعد مقتل الخليفة الثالث الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقد اجتهدوا رضي الله عنهم في التحري عن الحق، وبذلوا جهدهم في هذا السبيل، فكلهم إن شاء الله تعالى مأجورون المصيب منهم والمخطىء.

وقد اتبعت فيه أسلوب المحدِّثين في تمحيص الروايات وتحقيقها كما فعلت في الكتابين السابقين، وقسمته إلى ثلاثة فصول:

الأول للتعريف بأبي موسى وإسلامه وهجرته وجهاده مع النبي ﷺ.

والثاني لحياته ومواقفه بعد النبي ﷺ.

والثالث لمناقبه وفضائله.

أسأله سبحانه أن يتقبله ويجعله خالصاً لوجهه الكريم،

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

مكة المكرمة في
١٩ / ٦ / ١٤١٠ هـ
١٦ / ١ / ١٩٩٠ م

الفقير إلى الله تعالى
عبد الحميد محمود طهماز
المعهد العالي لإعداد الأئمة والدعاة
بمكة المكرمة



الفَصْل الأَوَّل

إسلام وهجرة وجهاد



الأشعريون

رجال من قبيلة الأشعر، وهي من قبائل اليمن الكبيرة، كانت تسكن في مأرب، نزحت عندما تهدم سد مأرب إلى السهول الساحلية على البحر الأحمر، والتي تسمى بسهول تهامة، واختلطت مع قبائل مَذْحَج، وديارها في زبيد والمخا والسهول الموازية لشرعب ومقننة[1].

يمتد نسبهم إلى الأشعر بن أُدَد، بن يشجب، بن يعرب، ابن قحطان، واسم الأشعر نَبْت بن أدَد، ولقب بالأشعر لكثرة شعر جسده[2]. ساهم الأشعريون في نشر رسالة الإسلام في عهد النبي ﷺ وبعده، وقضى بعضهم شهيداً في سبيل الله، وشهد لهم النبي ﷺ وأثنى عليهم، فنالوا بذلك أوسمة رفيعة تتلألأ على صدورهم إلى قيام الساعة.

قال الإمام مسلم في صحيحه: باب من فضائل الأشعريين

---

(١) انظر دراسات في أنساب قبائل اليمن ص ٦٩.

(٢) أسد الغابة ٥/٢٤٦.

رضي الله عنهم، ثم روى عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ:

«إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن، حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنت لم أرَ منازلهم حين نزلوا بالنهار، ومنهم حكيم إذا لقي الخيل ـ أو قال العدو ـ قال لهم: إن أصحابي يأمرونكم أن تنظروهم»[1].

وحكيم اسم رجل من الأشعريين، وقوله يدل على فرط شجاعته[2].

وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو، أو قلَّ طعامُ عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم بالسوية، فهم مني وأنا منهم»[3].

ومعنى قوله (أرملوا) أي فني زادهم، قال ابن حجر رحمه الله:

وفي الحديث فضيلة عظيمة للأشعريين قبيلة أبي موسى، وتحديث الرجل بمناقبه، وجواز هبة المجهول، وفضيلة

---

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم كتاب الفضائل رقم ٢٤٩٩.

(٢) انظر فتح الباري ٧/٤٨٧.

(٣) متفق عليه واللفظ لمسلم في كتاب الفضائل رقم ٢٥٠٠.

الإيثار والمواساة، واستحباب خلط الـزاد في السفر وفي الإقامة أيضاً[1].

فالأشعريون عبّاد ومجاهدون في وقت واحد، وهم فيما بينهم متعاونون متكافلون رضي الله عنهم وأرضاهم.

ولهم مناقب أخرى رضي الله عنهم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«يقدم عليكم أقوام هم أرق منكم قلوباً»، قال: فقدم الأشعريون فيهم أبو موسى الأشعري، فلما دنَوْا من المدينة كانوا يرتجزون، يقولون: غداً نلقى الأحبه محمداً وحزبه، وهم أول من جاء بالمصافحة[2].

ولما نزلت الآية الكريمة: ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ الآية[3]، قال رسول الله ﷺ: «هم قومك يا أبا موسى» وأومأ إليه[4].

ومن مناقبهم حرصهم على مجالس النبي ﷺ، فكانوا

---

(١) فتح الباري ٥/١٣٠.
(٢) أخرجه أحمد وأبو داود وابن سعد وإسناده صحيح.
(٣) المائدة: الآية ٥٧.
(٤) رجاله ثقات وأخرجه ابن سعد وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، انظر هامش سير أعلام النبلاء ٢/٣٨٤.

يتناوبون الحضور، عن أبي موسى قال: كنت أنا وأصحابي الّذين قدموا معي في السفينة نزولاً في بقيع بُطحان، ورسول الله ﷺ في المدينة، فكان يتناوب رسولَ الله ﷺ عند صلاة العشاء كلَّ ليلة نَفرٌ منهم، قال أبو موسى: فوافقنا رسول الله ﷺ أنا وأصحابي، وله بعض الشُّغُلِ في أمره، حتى أعتم بالصلاة، حتى ابهارّ الليل ـ انتصف ـ ثم خرج رسول الله ﷺ فصلَّى بهم، فلما قضى صلاته قال لمن حضره: «على رِسْلِكم أعلمُكم وأبشروا، أن من نعمة الله عليكم أنه ليس من الناس أحد يصلِّي هذه الساعة غيرُكم». قال أبو موسى: فرجعنا فرحين بما سمعنا من رسول الله ﷺ[1].

(١) صحيح مسلم في كتاب الصلاة رقم ٦٤١.

اسم أبي موسى ونسبه

هو عبدالله بن قيس، بن سُلَيم، بن حضار، بن حرب، ابن عامر، يمتد نسبه إلى الأشعر بن أدد.

وقد ثبت في الحديث الشريف أن النبي ﷺ ناداه باسمه عبدالله بن قيس، فعن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «يا عبدالله بن قيس، ألا أعلِّمك كلمة من كنوز الجنة؟ لا حول ولا قوة إلا بالله»[١]. وسيأتي معنا أن النبي ﷺ قال: «اللهم اغفر لعبدالله بن قيس».

وكنيته أبو موسى، وهو اسم أحد أولاده، دلَّ على ذلك ما ذكره الإمام أحمد في مسنده: عن موسى بن أبي موسى الأشعري عن أبيه[٢]. وأمه ظبية بنت وَهْب، امرأة من عَك[٣] أسلمت وماتت في المدينة[٤].

---

(١) رواه أحمد في المسند ٤/٤٠٢ وهو متفق عليه.

(٢) المسند ٤/٤١٤.

(٣) عك قبيلة عربية من قبائل تهامة.

(٤) أسد الغابة ٥/٣٩٥.

إسلامه وهجرته إلى الحبشة

كان أبو موسى يتردد على مكة المكرمة للعمل والكسب في أسواقها ومواسمها، شأنه في هذا شأن كثير من أبناء القبائل العربية في تهامة، وقد حالف أحد كبار رجالها ووجهائها ليتمتع بحمايته وجواره، وهو أبو أحيحة سعيد بن العاص الأموي، قال ابن سعد في الطبقات: قدم مكة فحالف سعيد بن العاص، وأسلم قديماً، وهاجر إلى أرض الحبشة[1].

وذكره ابن إسحاق في المهاجرين إلى الحبشة من بني عبد شمس، لأنه كان حليفاً لهم، ففي السيرة: المهاجرون من بني عبد شمس، قال ابن إسحاق: ومن بني عبد شمس أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وأبو موسى الأشعري، واسمه عبدالله بن قيس[2].

ويبدو أن تردده على مكة هو سبب إسلامه، فلا بدَّ أنه سمع بالنبي ﷺ، وتعرف عليه، ودخل في الإسلام.

وإسلامه كان في وقت مبكر من البعثة النبوية الشريفة، فهو رضي الله عنه من السابقين إلى الإسلام، بدليل هجرته إلى الحبشة مع المهاجرين إليها بعد أن اشتد أذى المشركين لهم.

---

(١) الطبقات ٤/١٠٧.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١/٢٨٢.

روى ابن أبي شيبة عن أبي موسى رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن ننطلق مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه إلى أرض النجاشي. . . الحديث[1]، وذكر فيه كل ما حدث للمهاجرين في الحبشة ومحاولة قريش أن تردهم عنها.

ورواه ابن سعد بسنده إلى أبي موسى أيضاً قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن ننطلق مع جعفر إلى أرض الحبشة[2].

ويبدو أن إقامة أبي موسى في الحبشة لم تطل، فقد رأى أن يرجع إلى قومه على الطرف الثاني لساحل البحر الأحمر مقابل الحبشة، فيقيم بينهم، يدعوهم إلى الإسلام، ويقرأ عليهم ما حفظ من القرآن، فذلك خير له من أن يقيم في أرض الحبشة غريباً، فركب البحر وعاد إلى قومه ووطنه.

ورجوعه إلى قومه جعل بعض المؤرخين وكتّاب السِّيَر لا يعدُّونه من مهاجري الحبشة، روى ابن سعد بسنده عن أبي بكر بن عبدالله بن أبي الجهم قال: ليس أبو موسى من مهاجرة الحبشة، وليس له حلف في قريش، وقد كان أسلم بمكة قديماً، ثم رجع إلى بلاد قومه، فلم يزل بها حتى قدم هو وناس من الأشعريين على رسول الله ﷺ. . . . ولم يذكره موسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق وأبو معشر، فيمن هاجر إلى أرض الحبشة[3].

---

(١) جامع الأحاديث ٥/٥١٢.

(٢) و(٣) الطبقات ٤/١٠٧.

لكن ابن إسحاق ذكره فيمن هاجر إلى الحبشة، كما مر معنا، وذكره أيضاً عبدالله بن مسعـود رضي الله عنه في المهاجرين إلى الحبشة، روى أحمد بإسناد حسن عن ابن مسعود قال: بعثنا النبي ﷺ إلى النجاشي، ونحن نحو من ثمانين رجلاً، فيهم عبدالله بن مسعود، وجعفر بن أبي طالب، وعبدالله بن عرفطة، وعثمان بن مظعون، وأبو موسى الأشعري... وذكر الحديث.

قال ابن حجر في فتح الباري بعد أن ذكر حديث ابن مسعود: (وقد استشكل ذكر أبي موسى فيهم، لأن المذكور في الصحيح أن أبا موسى خرج من بلاده هو وجماعة قاصداً النبي ﷺ بالمدينة، فألقتهم السفينة في أرض الحبشة، فحضروا مع جعفر إلى النبي ﷺ بخيبر.. ويمكن الجمع بأن يكون أبو موسى هاجر أولاً إلى مكة فأسلم، فبعثه النبي ﷺ مع من بعث إلى الحبشة، فتوجه إلى بلاد قومه، وهم مقابل الحبشة من الجانب الشرقي، فلما تحقق استقرار النبي ﷺ وأصحابه بالمدينة هاجر هو ومن أسلم من قومه إلى المدينة، فألقتهم السفينة لأجل هيجان الريح إلى الحبشة، فهذا محتمل، وفيه جمع بين الأخبار فليعتمد)(١).

وعلى كل فالروايات متفقة على تقدم إسلام أبي موسى وأنه من السابقين إلى الإسلام رضي الله عنه وعنهم.

---

(١) فتح الباري ٧/١٨٩.

الطريق إلى المدينة المنورة

نجح أبو موسى رضي الله عنه في نشر الإسلام بين قومه الأشعريين، فأسلم عدد كبير منهم، ولما سمع بهجرة النبي ﷺ إلى المدينة واستقراره فيها، خرج أبو موسى مهاجراً مع من أسلم من قومه إلى رسول الله ﷺ في المدينة المنورة، لكي يساهم في بناء المجتمع الإسلامي الجديد والدولة الإسلامية الفتية مع قومه الأشعريين.

وتحدث رضي الله عنه عن هجرته فقال: بلَغنا مخرجُ النبي ﷺ ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لي، أنا أصغرهم، أحدهما أبو بُردة، والآخر أبو رُهْم ـ إما قال: في بِضْع، وإما قال: في ثلاثة وخمسين، أو اثنين وخمسين رجلاً من قومي ـ فركبنا سفينةً، فألقتنا سفينتُنا إلى النجاشي بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالب، فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً، فوافقنا النبي ﷺ حين افتتح خيبر.

وكان ناس من الناس يقولون لنا: سبقناكم بالهجرة، ودخلت أسماءُ بنتُ عُمَيْس ـ وهي ممن قدم معنا ـ على حفصة زوج النبي ﷺ زائرةً، وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر، فدخل عمرُ على حفصة، وأسماءُ عندها، فقال عمر حين رأى أسماء: من هذه؟ قالت: أسماءُ بنت عميس قال عمر: آلحبشيةُ هذه؟ آلبحرية هذه؟ قالت أسماء: نعم، قال: سبقناكم بالهجرة فنحن أحقُّ برسول الله منكم. فغضبت

وقالت: كلا والله كنتم مع رسول الله ﷺ، يطعم جائعكم، ويعظ جاهلكم، وكنَّا في دار ـ أو في أرض ـ البُعداء البُغضاءِ بالحبشة، وذلك في الله وفي رسوله ﷺ، وايْمُ الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلتَ لرسول الله ﷺ، ونحن كنا نُؤذى ونُخاف، وسأذكر ذلك للنبي ﷺ وأسأله، والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه.

فلما جاء النبي ﷺ قالت: يا نبي الله، إن عمر قال: كذا وكذا، قال: «فما قلتِ له؟» قالت: قلتُ له كذا وكذا. قال: «ليس بأحقَّ بي منكم، له ولأصحابه هجرةٌ واحدة، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان».

قالت: فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتونني أرسالاً يسألوني عن هذا الحديث، ما من الدنيا شيءٌ هم به أفرحُ ولا أعظمُ مما قال لهم النبي ﷺ.

قال أبو بُردة[1]: قالت أسماءُ: فلقد رأيت أبا موسى وإنه ليستعيد هذا الحديث مني[2].

ولا بدَّ من توضيح بعض النقاط في حديث أبي موسى رضي الله عنه:

فقد خرج مع قومه مهاجرين حين بلغهم خروج النبي ﷺ

---

(١) أبو بردة هذا: هو ابن أبي موسى رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه واللفظ للبخاري من كتاب المغازي رقم ٤٢٣٠.

مهاجراً إلى المدينة، ولكن الله سبحانه ما قدَّر لهم أن يصلوا إلى المدينـة مباشرة، فقد عانوا رضي الله عنهم من هيجان البحر، وألقتهم أمواجه العاتية على ساحل الحبشة، وأرادوا هناك أن يستأنفوا سفرهم إلى المدينة، ولكن جعفر بن أبي طالب الذي كان لا يزال هناك مع مهاجري الحبشة قال لهم: إن رسول الله ﷺ بعثنا ههنا، وأمرنا بالإقامة، فأقيموا معنا[1] فأقاموا معه ينتظرون أمر النبي ﷺ بالهجرة إلى المدينة، وكان هذا سبب تأخر وصولهم إلى المدينة المنورة.

وهذا يدلنا على أن أبا موسى وقومه عانوا معاناة قاسية طويلة استمرت عدة سنوات حتى وصلوا إلى المدينة المنورة.

وفوجئوا عندما وصلوا إلى المدينة المنورة بخروج رسول الله ﷺ منهـا إلى خيبر، فلم يصبـروا في المـديـنـة حتى يرجع ﷺ إليها، بل حملهم شوقهم وحبهم للنبي ﷺ على أن يخرجوا إلى خيبر، رغم عناء الرحلة الطويلة التي ركبوا فيها البحر والبر من الحبشة إلى المدينة.

وقدموا على النبي ﷺ في خيبر بعد أن فتحها، والشوق يملأ جوانحهم والبشر يطفو على وجوههم وهم يرتجزون كما مر معنا:

غـداً نـلقـى الأحـبـه مـحـمـداً وحـزبـه

(١) ذكرها البخاري في رواية ثانية للحديث السابق في كتاب الخُمس رقم ٣١٣٦.

وقبل وصولهم بشَّر النبي ﷺ أصحابه بقدومهم، فقال: «يقدم عليكم أقوام هم أرق منكم قلوباً»[1].

وفرح النبي ﷺ بقدوم جعفر، وأكرم أبا موسى وقومه، فقسم لهم ﷺ من غنائم خيبر، ولم يقسم لغيرهم ممن لم يحضرها، تكريماً للأشعريين ولما عانوه في طريق هجرتهم رضي الله عنهم.

فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: «فوافقنا النبي ﷺ حين افتتح خيبر، فأسهم لنا ـ أو قال: فأعطانا ـ منها، وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئاً، إلا لمن شهد معه، إلا أصحاب سفينتنا مع جعفرٍ وأصحابه قسم لهم معهم»[2].

وهكذا قرت أعين الأشعريين برؤية النبي ﷺ وأصحابه، وتشرفوا بصحبته، وحازوا سهماً في بناء المجتمع الجديد المسلم والدولة الفتية مع رسول الله ﷺ وتحت لوائه. رضي الله عنهم وأرضاهم.

جهاد وصحبة

لزم أبو موسى الأشعري رضي الله عنه النبي ﷺ، وشهد معه كل المشاهد والغزوات بعد خيبر، ولم يفارقه في الحضر

---

(١) سبق ذكره وتخريجه في أول الكتاب.

(٢) صحيح البخاري كتاب الخمس رقم ٣١٣٦.

ولا في السفر، وجعلته كثرة ملازمته للنبي ﷺ يذكر لعبدالله ابن مسعود رضي الله عنه هذه الفضيلة، قال: قدمت أنا وأخي من اليمن، فمكثنا حيناً ما نرى إلا أن عبدالله بن مسعود رجل من أهل بيت النبي ﷺ، لما نرى من دخوله ودخول أمه على النبي ﷺ[1].

ووصف رضي الله عنه يوماً من أيام ملازمته للنبي ﷺ فقال بعد أن توضأ في بيته وخرج: لألزمـنَّ رسول الله ﷺ ولأكونن معه يومي هذا، قال: فجاء المسجد، فسأل عن النبي ﷺ، فقالوا: خرج ووجّه هاهنا، فخرجت على أثره أسأل عنه حتى دخل بئر أريس[2]، فجلست عند الباب، ـ وبابها من جريد ـ حتى قضى رسول الله حاجته، فتوضأ، فقمت إليه، فإذا هو جالس على بئر أريس، وتوسط قُفَّها[3]، وكشف عن ساقيه، ودلَّاهما في البئر فسلمت عليه ثم انصرفت فجلست عند الباب، فقلت: لأكوننَّ بواب رسول الله ﷺ اليوم.

فجاء أبو بكر فدفع الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: أبو بكر، فقلت: على رِسْلك، ثم ذهبت فقلت: يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن، فقال: ائذن له وبشره بالجنة، فأقبلتُ حتى قلت لأبي بكر: ادخل ورسول الله ﷺ يبشرك بالجنة،

---

(١) صحيح البخاري كتاب الفضائل ٣٧٦٣.
(٢) بستان في المدينة قرب قباء فيها بئر ماء.
(٣) ما يبنى حول البئر.

فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسـول الله ﷺ معه في القُفِّ، ودلَّى رجليه في البئر كما صنع النبي ﷺ وكشف عن ساقيه. . . .

ثم رجعت: فإذا إنسان يحرك الباب، فقلت من هذا؟ فقال: عمر بن الخطاب، فقلت على رِسْلك، ثم جئتُ إلى رسول الله ﷺ فسلمت عليه، فقلت: هذا عمر بن الخطاب يستأذن، فقال: «ائذن له وبشره بالجنة» فجئت فقلت: ادخل وبشرك رسول الله ﷺ بالجنة، فـدخل فجلس مـع رسول الله ﷺ في القُفِّ عن يساره ودلَّى رجليه في البئر.

ثم رجعت فجلست، فجاء إنسان يحرك البـاب، فقلت: من هذا؟ فقال: عثمان بن عفان، فقلت: على رِسْلك، فجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: «ائذن له وبشره بالجنة على بَلْوَى تصيبه» فجئت فقلتُ: ادخل وبشرك رسول الله ﷺ بالجنة على بلوى تصيبك، فدخل فوجد القُفَّ قد ملىء، فجلس وجاهَه من الشّق الآخر[1].

وتحمل رضي الله عنه شظف العيش وشدة الجهاد مع رسول الله ﷺ، وقال لولده أبي بُرْدة في ذلك: لو رأيتنا ونحن نخرج مع نبينا ﷺ، إذا أصابتنا السماء لوجدت منا ريح الضأن، من لباسنا الصوف[2].

---

(١) متفق عليه، واللفظ للبخاري من كتاب الفضائل رقم ٣٦٧٤.

(٢) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والترمذي وقال: هذا حديث صحيح.

وتحدث رضي الله عنه عن بعض غزواته مع النبي ﷺ وحراسته له في الليل، فقال: غزونا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فعرَّس[1] بنا رسول الله ﷺ، فانتبهت بعض الليل إلى مُناخ رسول الله ﷺ أطلبه، فلم أجده، فخرجت بارزاً أطلبه، وإذا رجل من أصحاب رسول الله ﷺ يطلب ما أطلب، فبينا نحن كذلك إذ اتجه إلينا رسول الله ﷺ، فقلنا: يا رسول الله أنت بأرض حرب ولا نأمن عليك، فلولا إذ بدت لك الحاجة قلت لبعض أصحابك فقام معك، فقال رسول الله ﷺ: «إني سمعت هزيزاً كهزيز الرحى ـ أو حنيناً كحنين النحل ـ وأتاني آتٍ من ربي عزّ وجلّ، فخيَّرني أن يدخل شطر أمتي الجنة وبين شفاعتي لهم، فاخترت شفاعتي لهم، وعلمت أنها أوسع لهم، فخيَّرني بأن يدخل ثلثي أمتي الجنة وبين الشفاعة، فاخترت لهم شفاعتي وعلمت أنها أوسع لهم» فقالا: يا رسول الله ادع الله تعالى أن يجعلنا من أهل شفاعتك، قال: فدعا لهما.

ثم إنهما نبَّها أصحاب رسول الله ﷺ وأخبراهم بقول رسول الله ﷺ، فجعلوا يأتونه ويقولون: يا رسول الله ادْعُ الله تعالى أن يجعلنا من أهل شفاعتك، فيدعو لهم، قال: فلما أضبَّ عليه القوم وكثروا، قال رسول الله ﷺ: «إنها لمن مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله»[2].

---

(١) أي نزل في آخر الليل للراحة. (٢) مسند الإمام أحمد ٤/٤١٥.

ومن صور معاناته وجهاده مع رسول الله ﷺ ما تحدث عنه في قوله: خرجنا مع النبي ﷺ في غزاة ونحن في ستة نفر، بيننا بعير نعتقبه، فنقبت أقدامُنا، ونقبَتْ قدمايَ وسقطت أظفاري، فكنا نلفُّ على أرجلنا الخرق، فسُميت غزوة ذات الرِّقاع لما كنا نعصِب من الخِرَقِ على أرجلنا.

قال ولده أبو بُردة راوي الحديث عنه: وحدَّث أبو موسى بهذا الحديث ثم كره ذاك، قال: ما كنت أصنع بأن أذكره. كأنه كره أن يكون شيء من عمله أفشاه[١].

استشهاد أبي عامر الأشعري

وشهد أبو موسى رضي الله عنه فتح مكة، وخرج مع النبي ﷺ إلى حُنَين، ولما انهزم المشركون أرسل النبي ﷺ كتيبة بإمرة أبي عامر الأشعري عم أبي موسى، في أثر فلول المشركين المنهزمين إلى وادي أوطاس، ومعه أبو موسى الذي وصف كيفية استشهاد عمه أبي عامر في المعركة فقال:

لما فرغ النبي ﷺ من حُنَين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس، فلقي دُرَيْد بن الصِّمَّة[٢]، فقُتِل دُريد، وهزم الله أصحابه. قال أبو موسى: وبعثني مع أبي عامر، فرمي أبو

---

(١) صحيح البخاري في كتاب المغازي رقم ٤١٢٨.
(٢) أحد فرسان العرب في الجاهلية.

عامر في ركبته، رماه جُشَمِيٌّ[1] بسهم فأثبته في ركبتـه، فانتهيت إليه، فقلت: يا عمّ مَنْ رماك؟ فـأشار إلى أبي موسى، فقال: ذاك قاتلي الذي رماني، فقصدت له فلحقته، فلما رآني ولى، فاتبعتُه، وجعلت أقول له: ألا تَسْتحي، ألا تثبت فكفَّ، فاختلفنا ضربتين بالسيف فقتلته، ثم قلتُ لأبي عامر: قتل الله صاحبك، قال: فانزع هذا السهم، فنزعته فنزا منه الماء، قال: يا ابن أخي، أقرىء النبي ﷺ السلام، وقل له: استغفر لي. واستخلفني أبو عامر على الناس، فمكث يسيراً ثم مات. فرجعت فدخلت على النبي ﷺ في بيته على سرير مُرْمَلٍ[2]، وعليه فراش، قد أثر رمال السرير بظهره وجنبيه، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر، وقال: قل له استغفر لي، فدعا بماء فتوضأ ثم رفع يديه فقال: «اللهم اغفر لعُبَيْدٍ أبي عامر»، ورأيت بياض إبطيه ثم قال: «اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس» فقلت: ولي فاستغفر، فقال: «اللهم اغفر لعبدالله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مُدخلًا كريماً».

قـال أبو بـردة: إحداهمـا لأبي عامـر، والأخرى لأبي موسى[3].

---

(١) نسبة إلى جُشَم، قبيلة عربية.
(٢) أي معمول بالرمال، وهي حبال الحصر التي تضفر بها الأسِرَّة.
(٣) صحيح البخاري في كتاب المغازي رقم ٤٣٢٣.

والحديث يدل على شجاعة أبي موسى رضي الله عنه وفروسيته، ولعل هذه المعركة هي سبب وصف النبي ﷺ لأبي موسى بسيد الفوارس، فقد روى ابن سعد عن نعيم بن يحيى التميمي قال رسول الله ﷺ:

«سيد الفوارس أبو موسى»[1].

هاتف في البحر

وتدل بعض الروايات أن النبي ﷺ أرسله أميراً على سرية في البحر، فقد أخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ استعمل أبا موسى رضي الله عنه على سرية البحر، فبينا هي ـ أي السفينة ـ تجري بهم في البحر في الليل، إذ ناداهم منادٍ من فوقهم: ألا أخبركم بقضاءٍ قضاه الله على نفسه؟ إنه من يعطش لله في يوم صائف، فإن حقاً على الله أن يسقيه يوم العطش الأكبر.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: ابن المؤمل ضعيف[2].

وأخرجه أبو نعيم في الحلية عن أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنهما قال: خرجنا غازين في البحر، فبينما نحن

---

(١) الطبقات ٤/١٠٧.

(٢) حياة الصحابة ٣/٥٦٤.

والريح طيبة، والشراع لنا مرفوع، فسمعنا منادياً ينادي: يا أهل السفينة، قِفُوا أخبركم، حتى والى بين سبعة أصوات، قال أبو موسى: فقمت على صدر السفينة، فقلت: من أنت؟ ومن أين أنت؟ أو ما ترى أين نحن؟ وهل نستطيع وقوفاً؟ قال فأجابني الصوت: ألا أخبركم بقضاء قضاه الله عزّ وجلّ على نفسه؟ قال: قلت: بلى أخبرنا، قال: فإن الله تعالى قضى على نفسه أنه من عطَّش نفسه لله عزّ وجلّ في يوم حار، كان حقاً على الله أن يرويه يوم القيامة.

قال أبو بردة: فكان أبو موسى يتوخَّى ذلك اليوم الحار الشديد الحر الذي يكاد ينسلخ فيه الإنسان فيصومه[1].

فأبو موسى رضي الله عنه مجاهد في البر والبحر، واختيار رسول الله ﷺ له أميراً على سرية في البحر بسبب خبرته رضي الله عنه في ركوب البحر، فقد نشأ على ساحل البحر، كما مر معنا، وركبه أكثر من مرة.

الخروج إلى تبوك

وحرص رضي الله عنه رغم فقره وقلة ذات يده مع قومه الأشعريين ألا يتخلَّفوا عن رسول الله ﷺ في أي غزوة من غزواته، ولما استنفر النبي ﷺ المسلمين إلى غزوة تبوك في

(١) حياة الصحابة ٣/٥٦٥.

مشارف الشام الجنوبية، عزَّ على الأشعريين أن يتخلَّفوا عن رسول الله ﷺ بسبب فقرهم وكونهم لا يملكون رواحل تحملهم في سفرهم البعيد إلى تبوك، فأرسلوا أبا موسى إلى النبي ﷺ يستعين به ليحملهم معه في جيش تبوك، تحدث رضي الله عنه عن ذلك فقال:

أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﷺ أسأله الحُمْلان لهم، إذ هم معه في جيش العسرة، وهي غزوة تبوك، فقلت: يا نبي الله إن أصحابي أرسلوني إليك لتحملهم، فقال: «والله لا أحملكم على شيء».

ووافقته وهو غضبان ولا أشعر، ورجعت حزيناً من مَنْع النبي ﷺ، ومن مخافة أن يكون النبي ﷺ وجد في نفسه عليَّ، فرجعت إلى أصحابي فأخبرتهم الذي قال النبي ﷺ، فلم ألبث إلا سُوَيْعةً إذ سمعت بلالاً ينادي: أي عبدالله بن قيس، فأجبته، فقال: أجبْ رسول الله ﷺ يدعوك، فلما أتيته قال: «خذ هذين القرينين ـ لستة أبعرة ابتاعهن حينئذ من سعد ـ فانطلق بهن إلى أصحابك، فقل: إن الله ـ أو قال: إن رسول الله ﷺ ـ يحملكم على هؤلاء فاركبوهن».

فانطلقت إليهم بهن، فقلت: إن النبي ﷺ يحملكم على هؤلاء، ولكني والله لا أدعكم حتى ينطلق معي بعضكم إلى من سمع مقالة رسول الله ﷺ، لا تظنوا أني حدثتكم شيئاً لم يقله رسول الله ﷺ، فقالوا لي: إنك عندنا لمصدَّق، ولنفعلن

ما أحببت، فانطلق أبو موسى بنفر منهم حتى أتوا الذين سمعوا قول رسول الله ﷺ، مَنْعَه إياهم ثم إعطاءهم بعد، فحدَّثوهم بمثل ما حدثهم به أبو موسى[1].

وروى البخاري رحمه الله بقية القصة عن أبي موسى في موضع آخر قال:

فلما انطلقنا قلنا ـ أو قال بعضنا ـ والله لا يُبارك لنا، أتينا النبي ﷺ نستحمله، فحلف أن لا يحملنا ثم حملنا، فارجعوا بنا إلى النبي ﷺ فنذكّره، فأتيناه فقال: «ما أنا حملتكم بل الله حملكم، وإني والله ـ إن شاء الله ـ لا أحلف على يميني فأرى غيرها خيراً منها إلا كفَّرتُ عن يميني، وأتيتُ الذي هو خير، أو: أتيتُ الذي هو خير وكفَّرت عن يميني»[2].

بعثة أبي موسى إلى اليمن

وبعد غزوة تبوك بعثه النبي ﷺ إلى اليمن داعياً ومعلِّماً ووالياً، وتحدث رضي الله عنه عن سبب بعثة اليمن، ففي المسند عن أبي بردة قال: قال أبو موسى الأشعري: أتاني ناس من الأشعريين، فقالوا: اذهب معنا إلى رسول الله ﷺ فإن لنا حاجة، فقمتُ معهم، فقالوا: يا رسول الله استعن بنا في عملك، فاعتذرت إلى رسول الله ﷺ مما قالوا، وقلت: لم

---

(١) صحيح البخاري في كتاب المغازي رقم ٤٤١٥.
(٢) كتاب الأيمان والنذور رقم ٦٦٢٣.

أدر ما حاجتهم، فصدقني رسول الله ﷺ وعذرني، وقال: «إنا لا نستعين بعملنا من سألَناه» وفي رواية أخرى قال: أقبلت إلى النبي ﷺ ومعي رجلان من الأشعريين، أحدهما عن يميني والآخر عن يساري، فكلاهما سأل العمل والنبي ﷺ يستاك، قال: «ما تقول يا أبا موسى ـ أو يا عبدالله بن قيس ـ؟» قلت: والذي بعثك بالحق ما أطلعاني على ما في أنفسهما، وما شعرت أنهما يطلبان العمل، قال: «إني ـ أو إنّا ـ لا نستعمل على عملنا من أراده، ولكن اذهب أنت يا أبا موسى أو يا عبدالله بن قيس» فبعثه إلى اليمن ثم أتبعه معاذ ابن جبل(١).

وعن أبي بُرْدة أيضاً عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ بعث معاذاً وأبا موسى إلى اليمن، فأمرهما أن يعلِّما الناس القرآن(٢).

وبوَّب الإمام البخاري في صحيحه فقال: باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع. ثم روى بسنده عن أبي بُرْدة قال: بعث رسول الله ﷺ أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن، قال: وبعث كل واحد منهما على مِخْلاف(٣)،

---

(١) مسند أحمد ٤/٤٠٩ واللفظ له، وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة رقم ١٧٣٣.

(٢) مسند أحمد ٤/٣٩٧.

(٣) أي على منطقة.

واليمن مخلافان، ثم قال: «يسِّرا ولا تعسِّرا وبشِّرا ولا تنفِّرا».

فانطلق كل واحد منهما إلى عمله، وكان كل واحد منهما إذا سار في أرضه، كان قريباً من صاحبه، أحدث به عهداً فسلَّم عليه، فسار معاذ في أرضه قريباً من صاحبه أبي موسى، فجاء يسير على بغلته حتى انتهى إليه، وإذا هو جالس وقد اجتمع إليه ناس، وإذا رجل عنده قد جُمعت يداه إلى عنقه، فقال له معاذ: يا عبدالله بن قيس أيُّمَ هذا[1]؟ قال: هذا رجل كفر بعد إسلامه، قال: لا أنزل حتى يقتل، قال: إنما جيء به لذلك، فانزل، قال: ما أنزل حتى يقتل، فأمر به فقتل، ثم نزل، فقال: يا عبدالله كيف تقرأ القرآن؟ قال: أتفوَّقه تفوُّقاً[2]، قال: فكيف تقرأ أنت يا معاذ؟ قال: أنام أوَّلَ الليل، فأقوم وقد قضيت جزئي من النوم، فأقرأ ما كتب الله لي فأحتسب نوْمتي كما أحتسب قومتي»[3].

ويبدو أن المخلاف الذي كان عليه أبو موسى هو القريب من ساحل البحر الأحمر، أي هو موطن قبيلته الأشعريين، بينما كانت جهة مخلاف معاذ إلى عدن والمشرق.

أرسل النبي ﷺ معاذاً وأبا موسى رضي الله عنهما إلى اليمن، بعدما جاءت إليه وفود ملوك حمير من اليمن،

---

(١) أي: ما هذا؟.

(٢) أي ألازم قراءته ليلاً ونهاراً شيئاً فشيئاً، وحيناً بعد حين.

(٣) صحيح البخاري في كتاب المغازي ٨/٦٠.

فاختار ﷺ من أصحابه معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري ومالك بن عبادة، وغيرهم، وكتب إلى زرعة ذي يزن: «إذا أتاك رسلي فأوصيك بهم خيراً... وإن أميرهم معاذ بن جبل، فلا ينقلبنَّ إلا راضياً... وإني قد أرسلت إليكم من صالحي أهلي وأولي دينهم وأولي علمهم، فآمركم بهم خيراً، فإنهم منظور إليهم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[1].

وهذا يدل على اهتمام النبي ﷺ بأهل اليمن، فلم يرسل إليهم إلا من يثق بعلمه ودينه، وقد استدل ابن حجر العسقلاني رحمه الله ببعثة أبي موسى إلى اليمن على أنه كان حاذقاً فطناً عالماً[2].

الحج مع رسول الله ﷺ

ولما حج النبي ﷺ في العام الهجري العاشر حجة الوداع، قدم أبو موسى من اليمن وحج مع رسول الله ﷺ، وتحدث رضي الله عنه عن حجة الوداع مع رسول الله ﷺ فقال: بعثني رسول الله ﷺ إلى أرض قومي، فلما حضر الحج، حج رسول الله ﷺ وحججتُ، فقدمت عليه وهو نازل بالأبطح فقال لي: «بم أهللت يا عبدالله بن قيس؟» قال:

---

(١) معاذ بن جبل للمؤلف ص ٤٨ انظر الكتاب كاملاً في البداية والنهاية ٥/ ٧٥.

(٢) المرجع نفسه.

قلت: لبيك بحج كحج رسول الله ﷺ، قال: «أحسنت» ثم قال: «هل سُقْت هدياً؟» فقلت: ما فعلت، فقال لي: «اذهب فطُفْ بالبيت وبين الصفا والمروة ثم احلل».

فانطلقت ففعلت ما أمرني، وأتيت امرأة من قومي فغسلتْ رأسي بالخِطْمي[1] وفَلّتْهُ، ثم أهللتُ بالحج يوم التروية، فما زلت أفتي الناس بالذي أمرني رسول الله ﷺ حتى توفي، ثم زمن أبي بكر رضي الله تعالى عنه، ثم زمن عمر رضي الله تعالى عنه، فبينا أنا قائم عند الحجر الأسود، أو المقام، أفتي الناس بالذي أمرني به رسول الله ﷺ، إذ أتـاني رجل، فسارّني، فقال: لا تعجل بفتياك، فإن أمير المؤمنين قد أحدث في المناسك شيئاً، فقلت: أيها الناس من كنا أفتيناه في المناسك شيئاً فليتئد فإن أمير المؤمنين قادم، فبه ائتموا، قال: فقدم عمر رضي الله تعالى عنه فقلت: يا أمير المؤمنين هل أحدثتَ في المناسك شيئاً؟ قال: نعم إن نأخذ بكتاب الله عزّ وجلّ فإنه يأمر بالتمام، وإن نأخذ بسنة نبينا ﷺ فإنه لم يحلل حتى نحر الهدي[2].

وكان أبو موسى رضي الله عنه يفتي من دخل قارناً بين العمرة والحج أنه يجوز له أن يحل من عمرتـه ويتمتع، ثم يحرم بعد ذلك في الحج قبل الخروج إلى عرفة، وهو ما أمره

---

(١) مادة من ورق نبات تستعمل للتنظيف والتطيب.

(٢) مسند أحمد ٤/٣٩٣.

به رسول الله ﷺ، لكن هذا كان خصوصية للصحابة الذين حجوا معه ﷺ، إذ أراد النبي ﷺ أن يبين للناس جواز العمرة في أشهر الحج، خلافاً لما كان عليه الناس في الجاهلية، فقد كانوا يرون أن العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور، وهذا ما فهمه عمر رضي الله عنه، فمنع جواز التحلل لمن كان قارناً بين العمرة والحج حتى يتمهما أخذاً بقوله تعالى: ﴿ وأتموا الحج والعمرة لله ﴾ الآية[1] ورجع أبو موسى إلى رأي عمر رضي الله عنهما.

والحديث يدل على فضل أبي موسى وعلمه وطاعته للخليفة، وأنه كان يفتي الناس ويعلمهم في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين بعده، كما سيأتي معنا.

فتنة الأسود العنسي في اليمن

عاد أبو موسى إلى اليمن بعد حجة الوداع، ولكنه لم يتمكن من الوصول إلى مكان عمله بسبب فتنة المتنبىء الكذاب الأسود العنسي، التي امتدت وانتشرت في اليمن كله.

وهو رجل كان يقيم في كهف جبلي قرب بلدة خَبَّان، ويدَّعي الكهانة ومعرفة الغيب، اسمه: عَبْهلة بن كعب

---

(١) البقرة: الآية ١٩٦.

العنسي، نسبة إلى عَنَس، أحد بطون قبيلة مَذْحج اليمنية، ويقال له: ذو الخمار، لأنه كان يخمّر وجهه بخمار فلا يظهره للناس، وكان كاهناً شِعْباذاً، يمارس السحر والشعوذة، فيُري أتباعه منه الأعاجيب، كما كان له فصاحة في لسانه ومنطق في كلامه، فيسبي قلوب من يسمعه بمنطقه ويسحرهم ببيانه، ويعتمد أيضاً على قرناء له من الشياطين يساعدونه في خداع الناس.

ولما انتشر الإسلام في اليمن أعرض الناس عنه، لأن الإسلام يحرّم الكهانة والسحر وادِّعاءَ معرفة الغيب، قال رسول الله ﷺ: «من أتى عرَّافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»[1].

وعندما رأى الأسود العنسي إعراض الناس عنه، ادَّعى لنفسه صفة النبوة لكي يجمع الناس إليه، واستعان بسحره وشعوذته وقرنائه من الشياطين، ليوهم السذج البسطاء من عامة الناس بصدق دعوته، حتى تمكن أن يجمع حوله عوامَّ قبيلة مَذحج، فوثب بهم على نجران فأخضعها لسلطانه، واضطر فروة بن مُسَيْك عامل النبي ﷺ على نجران إلى الانحياز مع من ثبت معه من المسلمين إلى الأحسية، ثم انطلق الأسود إلى صنعاء، فتمكن منها، وقتل عامل النبي ﷺ

---

(١) صحيح مسلم في كتاب السلام رقم ٢٢٣٠.

عليها، وهو شَهْر بن باذام، وتزوج امرأته، وافتتن الناس به، واستفحل أمره في اليمن كلها.

واضطر أبو موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى الانحياز إلى جهة حضرموت حتى يهدأ إعصار هذه الفتنة المدمِّر، فنزل معاذ رضي الله عنه على السَّكون، ونزل أبو موسى على السَّكاسك.

وعلم النبي ﷺ بأحداث في اليمن بواسطة الوحي، قبل أن تصله الأخبار بواسطة الناس، ورأى ﷺ في منامه رؤيا، حدَّث عنها فقال: «بينما أنا نائم أُتيت خزائن الأرض، فوضع في يدي أسوْارَين من ذهب، فكبُرا عليَّ وأهماني، فأوحي إليّ أن انفخهما، فنفختُهما، فذهبا، فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما، صاحب صنعاء، وصاحب اليمامة»[1].

قضى رسول الله ﷺ على فتنة الأسود العنسي بواسطة الرسائل التي أرسلها إلى اليمن، بعث ﷺ مع رجل اسمه: وَبَر بن يُحنَّس الديلمي كتاباً يأمر المسلمين في اليمن بمقاتلة الأسود العنسي ومصاولته، وقام معاذ بن جبل وأبو موسى الأشعري رضي الله عنهما بهذا الكتاب أتم قيام، فبلَّغا كتاب النبي ﷺ إلى عماله ومن قدرا عليه من الناس، فنشط المسلمون لهذا، وعرفوا القوة، ووثقوا بالنصر، حتى وصل

---

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم في كتاب الرؤيا رقم ٢٢٧٤.

كتاب النبي ﷺ إلى بعض أمراء جند الأسود، مثل فيروز الديلمي، وقيس بن مكشوح، فاتفقوا مع المسلمين على الفتْك بالأسود.... واتفقوا مع زوجته على قتله، ودخلوا قصره ليلاً بمساعدتها، وقتلوه وهو نائم، وفي الصباح وقف أحدهم على سور القصر ونادى قائلاً: أشهد أن محمداً رسول الله وأن عبهلة كذاب، وألقى رأسه، فانهزم أتباع الأسود، وتبعهم المسلمون يأخذونهم ويرصدونهم في كل طريق، وظهر الإسلام وأهله.

وعاد أبو موسى ونواب رسول الله ﷺ إلى أعمالهم، واتفقوا على أن يصلي معاذ بن جبل بالناس في صنعاء، وكتبوا بالخبر إلى النبي ﷺ، وقد أطلعه الله على الخبر من ليلته، فقد قال ﷺ عندما أصبح: «قتل العنسي البارحة قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين»[1] وقد دام ملكه من ظهوره إلى أن قتل ثلاثة أشهر، وبعد قتله بثلاثة أيام توفي رسول الله ﷺ[2] وأبو موسى في اليمن.

---

(١) البداية والنهاية ٦/٣١٠.

(٢) معاذ بن جبل ص ٦٦.

الفصل الثاني

أبو موسى بعد وفاة النبي ﷺ



في عهد أبي بكر

توفي رسول الله ﷺ وأبو موسى في اليمن، ومع أنه رضي الله عنه ما كانت نفسه متعلقة بالمناصب والمراتب، كما مرَّ معنا عندما سأل بعض الأشعريين رسول الله ﷺ العمل، وغَضَبُ أبي موسى واعتذاره للنبي ﷺ عن طلبهم العمل، فقد أقره أبو بكر على ولايته في اليمن، وولاه أيضاً عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم كما سيأتي معنا.

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله، وهو يذكر أسماء ولاة أبي بكر الصديق والبلاد التي كانوا عليها: وعلى زبيد ورِمَع أبو موسى الأشعري[1].

ولم تطل مدة ولاية أبي موسى في اليمن، إذ فضل رضي الله عنه ميدان الجهاد في سبيل الله على منصب الولاية، ويبدو أنه توجه إلى الجهاد في بلاد الشام، وذلك عندما أرسل أبو بكر رضي الله عنهم الكتب إلى اليمن يستنفر أهلها

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٤٢٧.

للجهاد في بلاد الشام، فقد ذكره ابن الأثير رحمه الله في الصحابة الذين كانوا في الشام عند وفاة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، فقال: كان عامل رسول الله ﷺ على زبيد وعدن. . . وشهد وفاة أبي عبيدة بالشام، وافتتح نصيبين[1] فله رضي الله عنه في فتح الشام والجهاد في سبيل الله فيها سهم كبير، وبقي في بلاد الشام حتى استدعاه عمر رضي الله عنه لكي يرسله والياً على البصرة.

---

(١) أسد الغابة ٥/٥٤٦.

في عهد عمر

قبل أن نتحدث عن ولاية أبي موسى على البصرة ينبغي أن نبرز نقطتين هامتين:

أولاهما: من المعلوم أن عمر رضي الله عنه كان شديداً على ولاته وعماله، كثير المراقبة لتصرفاتهم، يحاسبهم على صغير الأمور فضلاً عن كبيرها.

ثانيتهما: كانت البصرة قاعدة الانطلاق الكبرى لجيوش المسلمين المتجهة لفتح بلاد المشرق، فقد أسسها عمر رضي الله عنه مع الكوفة، وأنزل بهما الفُصَحَ من قبائل العرب لتكونا ثكنتين عسكريتين على الجبهة الشرقية للدولة الإسلامية، ولهذا كان لهما مركز عسكري كبير وثقيل.

وقد اهتم عمر بولاة الكوفة والبصرة، فاختار لهما الخيار من أصحاب رسول الله ﷺ، ومع ذلك فقد كان أهل هاتين المدينتين يشغبون كثيراً على ولاتهم، وكلما شغبوا على والٍ سارع عمر إلى عزله، ولم يثبت في ولايته ويستمر فيها سوى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، فقد بقي والياً على

البصرة بعد تعيينه عليها طول خلافة عمر، وأوصى رضي الله عنه الخليفة بعده أن يقر الأشعري على ولايته، فقد كتب عمر في وصيته: ألا يُقرَّ لي عامل أكثر من سنة، وأقروا الأشعري أربع سنين(١).

وهذا يدل على نجاح أبي موسى الأشعري في ولايته على البصرة، وثقة أمير المؤمنين عمر بأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما، مما يدل على حسن إدارته وبعد نظره وكياسته وفطانته رضي الله عنه.

جهاد ورباط

وتولى أبو موسى على ولاية البصرة في ظروف صعبة ودقيقة، فقد كان المغيرة بن شعبة والياً على البصرة قبله، وهو معروف بين الصحابة رضي الله عنهم بدهائه وذكائه وبعد نظره، ومع ذلك شغب عليه بعض أهل البصرة، واتهموه بتهمة شنيعة، وهي الزنى، وشهد أربعة أنهم رأوه يزني، ولكن شهادة أحدهم لم تستوف الشروط الشرعية، فحدهم عمر رضي الله عنه حد القذف، وعزل المغيرة عن البصرة، وولّى عليها أبا موسى الأشعري، وكان رضي الله عنه كارهاً لهذا المنصب، ولكن عمر رضي الله عنه ألح عليه وأقنعه.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢/٣٩١ والمسند ٤/٣٩١.

روى ابن سعد بسنده أن عمر بن الخطاب قال: بالشام أربعون رجلاً، ما منهم رجل كان يلي أمر الأمة إلا أجزأه[1]، فأرسل إليهم في رهط منهم أبو موسى، فقال: إني أرسلت إليك لأرسلك إلى قوم عسكر الشيطان بين أظهرهم، فقال: لا ترسلني، فقال: إن بها جهاداً ورباطاً، أو إن بها رباطاً، فأرسله إلى البصرة[2].

وقول عمر في وصف أهل البصرة: (عسكر الشيطان بين أظهرهم)، يدل على صعوبة المهمة التي انتُدب لها أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، وذهب إليها مرابطاً ومجاهداً، والرباط: السكنى في الثغور على الحدود في مواجهة العدو، وكانت البصرة حينئذ ثغراً على حدود الدولة الإسلامية تواجه أعتى القوى، وهي جيوش الدولة الفارسية التي لا تزال في قوتها وشوكتها، والمرابطة على الحدود في وجه العدو من أعظم العبادات وأكثرها ثواباً، ففي الحديث الشريف عن سلمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عملهُ الذي كان يعمله، وأُجريَ عليه رزقُه، وأمن الفتّان»[3] وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: قال

---

(١) أي قام به خير قيام.

(٢) الطبقات ٤/١٠٧.

(٣) أي لم يسأل في قبره، والحديث رواه مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة رقم ١٩١٣.

رسول الله ﷺ: «كل ميت يُختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله، فإنه يُنمى له عمله إلى يوم القيامة، ويأمن من فتنة القبر»[1] وكانت حياة أبي موسى في البصرة جهاداً ورباطاً ودعوةً وعلماً وتعليماً كما سيأتي معنا.

الاستعانة بالمهاجرين والأنصار

وصف الطبري قدوم أبي موسى لاستلام عمله في البصرة، فقال في حوادث سنة سبع عشرة: بعث عمر إلى أبي موسى فقال: يا أبا موسى إني مستعملك، إني أبعثك إلى أرض قد باض بها الشيطان وفرّخ، فالزم ما تعرف، ولا تستبدل فيستبدل الله بك، فقال: يا أمير المؤمنين أعنّي بعدَّة من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، فإني وجدتهم في هذه الأمة كالملح لا يصلح الطعام إلا به، قال: فاستعن بمن أحببت.

فاستعان بتسعة وعشرين رجلاً، منهم أنس بن مالك وعمران بن حصين وهشام بن عامر.

ثم خرج أبو موسى فيهم حتى أناخ بالمربد[2]، وبلغ المغيرة أن أبا موسى قد أناخ بالمربد، فقال: والله ما جاء أبو موسى زائراً ولا تاجراً، ولكنه جاء أميراً، فإنهم لفي ذلك، إذ

---

(١) أخرجه أبو داود والترمذي كما في تيسير الوصول ١/٢١٤.

(٢) موضع معروف بالبصرة.

جاء أبو موسى حتى دخل عليهم، فدفع إليه أبو موسى كتاباً من عمر، وإنه لأوجز كتاب كتب به أحد من الناس، أربع كَلم، عزل فيها، وعاتب، واستحثَّ، وأمَّر.

أما بعد: فإنه بلغني نبأ عظيم، فبعثت أبا موسى أميراً، فسلّم إليه ما في يدك، والعجَل.

وكتب إلى أهل البصرة: أما بعد: فإني قد بعثت أبا موسى أميراً عليكم، ليأخذ لضعيفكم من قويكم، وليقاتل بكم عدوكم، وليدفع عن ذمتكم، وليُحصي لكم فيئكم ثم ليقسمه بينكم، ولينقِّي لكم طرقكم[1].

إنها مهمة صعبة ومسؤولية جسيمة، حملها أبو موسى رضي الله عنه ونجح فيها نجاحاً كبيراً.

عمر وأبو موسى

قدم رضي الله عنه إلى البصرة، وكلمات عمر التي أوصاه بها وهو يشيِّعه ترن في أذنه، فقد كان عمر رضي الله عنه إذا استعمل العمال خرج معهم يشيِّعهم ويقول: إني لم أستعملكم على أمة محمد ﷺ على أشعارهم ولا على أبشارهم، إنما استعملتكم عليهم لتقيموا بهم الصلاة، وتقضوا بينهم بالحق، وتقسموا بينهم بالعدل[2]...

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٧١.

(٢) المرجع نفسه ٤/٢٠٤.

والتزم أبو موسى بوصية عمر رضي الله عنهما، ولعل سر نجاحه في ولايته أنه كان شديد الطاعة لعمر، وكان عمر رضي الله عنه يتعهده دائماً بوصاياه بواسطة الرسائل والكتب، وفي كتب عمر إلى أبي موسى ثروة كبيرة فكرية وأدبية وتشريعية، وخاصة في مجال القضاء وأصول المحاكمات، وأشهرها كتابه الذي أرسله رضي الله عنه إلى أبي موسى والذي يُعَدُّ دستوراً في القضاء والحكم، وقد استمد منه العلماء كثيراً من قواعد أصول الفقه، حتى جعله ابن قيِّم الجوزية المتوفى عام ٧٥١ هـ أساساً لكتابه القيم: إعلام الموقعين عن رب العالمين.

وقد احتفظ بالكتاب سعيد بن أبي بردة حفيد أبي موسى، وقرأه على سفيان بن عيينة ونصه:

إلى أبي موسى الأشعري: أما بعد: فإن القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة، فافهم إذا أُدْلي إليك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له، آسِ[١] بين الناس في مجلسك ووجهك وعدلك، حتى لا يطمع شريف في حَيْفك، ولا يخاف ضعيف جَوْرك، البيِّنة على من ادعى، واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين، إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً.

---

(١) أي سوِّ بين الناس.

لا يمنعنَّك قضاء قضيته بالأمس راجعت فيه نفسك وهُديت فيه لرشدك، أن تراجع الحق، فإن الحق قديم، وإن الحق لا يبطله شيء، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل.

الفهمَ الفهمَ فيما يختلج في صدرك مما لم يبلغك في القرآن والسنة. اعرف الأمثال والأشباه، ثم قِس الأمور عند ذلك، فاعمد إلى أحبها إلى الله، وأشبهها بالحق فيما ترى، واجعل للمدَّعي أمداً ينتهي إليه، فإن أحضر بيِّنة، وإلا وجهت عليه القضاء فإن ذلك أجلى للعمى، وأبلغ في العذر.

المسلمون عدول بينهم بعضهم على بعض، إلا مجلوداً في حدٍّ أو مجرباً في شهادة زور، أو ظنيناً في ولاء أو قرابة، فإن الله تولَّى منكم السرائر، ودرأ عنكم بالبينات.

ثم إياك والضجر والقلق والتأذي بالناس، والتنكر للخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الأجر، ويحسن بها الذكر، فإنه من يخلص نيّته فيما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس، ومن تزيّن للناس بما يعلم الله منه غير ذلك شانَه[1] الله[2].

ومن وصايا عمر لأبي موسى رضي الله عنهما:

---

(١) أي: أبغضه.

(٢) التعليق المغني على سنن الدارقطني ٤/٢٠٧.

أما بعد: فإن للناس نفرة من سلطانهم، فأعوذ بالله أن تدركني وإياك، فأقم الحدود ولو ساعة من النهار، وإذا حضر أمران أحدهما لله، والآخر للدنيا، فآثر نصيبك من الله، فإن الدنيا تنفد والآخرة تبقى، وأخِفِ الفُسَّاق، واجعلهم يداً يداً ورجلاً رجلاً[١].

عُدْ مريض المسلمين، واحضر جنائزهم، وافتح بابك، وباشر أمورهم بنفسك، فإنما أنت رجل منهم، غير أن الله جعلك أثقلهم حملاً.

وقد بلغني أنه نشأ لك ولأهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك، ليس للمسلمين مثلها، فإياك يا عبدالله أن تكون بمنزلة البهيمة مرَّت بوادٍ خصب فلم يكن لها همٌّ إلا التسمُّن، وإنما حتفها في السِّمَنِ، واعلم أن العامل إذا زاغ زاغت رعيته، وأشقى الناس من شقيت به رعيته[٢].

وأخرج ابن أبي شيبة عن الضحاك قال: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما:

أما بعد: فإن القوة في العمل أن لا تؤخروا عمل اليوم لغد، فإنكم إذا فعلتم ذلك تداركت عليكم الأعمال فلا تدرون أيها تأخذون، فأضعتم، فإن خُيِّرتم بين أمرين أحدهما

---

(١) أي فرقهم وباعد بينهم.
(٢) حياة الصحابة ٢/١٢٣ ـ ١٢٤.

للدنيا والآخر للآخرة، فاختاروا أمر الآخرة على أمر الدنيا، فإن الدنيا تفنى والآخرة تبقى، كونوا من الله على وجل، وتعلَّموا كتاب الله، فإنه ينابيع العلوم وربيع القلوب[1].

وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن الحسن قال: كتب عمر ابن الخطاب إلى أبي موسى رضي الله عنهما: «أما بعد فأعلمُ، أي أريد أن أعلم، يوماً في السنة لا يبقى في بيت المال درهم حتى يُكتسح اكتساحاً، حتى يعلم الله أني أدَّيت إلى كل ذي حق حقه»[2].

خير ولاة البصرة أبو موسى

سار أبو موسى في ولايته على البصرة وإدارة شؤونها في ظلال هذه الوصايا الخالدة، فنجح رضي الله عنه نجاحاً باهراً، سجله له التاريخ بحروف من نـور، حتى امتدت سنوات ولايته على البصرة زهاء اثنتي عشرة سنة.

علمهم وفقههم وأدبهم وقـرأ عليهم القـرآن وأقـرأهم، وتمكن رضي الله عنه في خلال هذه السنوات من تكوين جيل من العلماء وقراء القرآن، كانوا النواة الأولى للمدرسة الفكرية التي عُرفت بها البصرة بعد ذلك، حتى قال الحسن البصري

---

(١) حياة الصحابة ٢/١٢٣ ـ ١٢٤.

(٢) المرجع نفسه ٢/٢٢٤.

رحمه الله تعالى: ما قدمها راكب خير لأهلها من أبي موسى[1].

وقال العِجْلي: بعثه عمر أميراً على البصرة، فأقرأهم وفقههم، وهو فتح تُستر، ولم يكن في الصحابة أحد أحسن صوتاً منه[2].

وقرَّت عين أبي موسى رضي الله عنه وقد رأى جهوده في البصرة تؤتي أكلها وتعطي ثماراً طيبة جنيَّة، وكان يرجو فضل الله تعالى وثوابه على ذلك.

روى ابن عساكر عن ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر لقي أبا موسى الأشعري رضي الله عنه، فقال له: يا أبا موسى أيسرُّك أن عملك الذي كان مع رسول الله ﷺ خَلَص لك، وأنك خرجت من عملك كفافاً، خيره بشره، وشره بخيره كفافاً لا لك ولا عليك؟ قال: يا أمير المؤمنين والله قدمت البصرة، وإن الجفاء فيهم لفاشٍ، فعلمتهم القرآن والسنة، وغزوت بهم في سبيل الله، وإني لأرجو بذلك فضله.

قال عمر رضي الله عنه: لكن وددتُ أني خرجت من عملي خيره بشره، وشره بخيره كفافاً، لا عليَّ ولا لي، وخلَص لي عملي مع رسول الله ﷺ[3].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢/٣٨٩.

(٢) المرجع نفسه ٢/٣٨٣.

(٣) حياة الصحابة ٢/١١٠.

كان رضي الله عنه يعلمهم ويؤدبهم ويواسيهم بنفسه، بلغه أن ناساً يمنعهم من حضور صلاة الجمعة أنه ليس عندهم ثياب جديدة لائقة، فخرج رضي الله عنه إلى صلاة الجمعة في عباءة[1] يبدو أنها بالية ممزقة.

شَغَبٌ وافتراء

ومع هذه السيرة الطيبة الحميدة التي اتبعها في ولايته على البصرة، لم يسلم رضي الله عنه من شغَب المشاغبين وافتراء المغرضين، من ذلك ما رواه الإمام أحمد عن رجل من بني كاهل قال: خطبنا أبو موسى الأشعري فقال: يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل.

فقام إليه عبدالله بن حزن وقيس بن المضارب فقالا: والله لتخرجن مما قلت، أو لنأتين عمر مأذون لنا أو غير مأذون.

قال: بل أخرج مما قلتُ، خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: «أيها الناس اتقوا هذا الشرك، فإنه أخفى من دبيب النمل» فقال له من شاء الله أن يقول: وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟ قال: «قولوا اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلم»[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢/٣٩٠.

(٢) المسند ٤/٤٠٣.

وكان عمر رضي الله عنه يشجع الناس أن يرفعوا إليه كل شيء لا يرضون عنه من تصرفات ولاتهم، وإذا شُكي إليه عامل جمع بينه وبين من شكاه، فإن صح عليه أمر يجب أخذُه به، أخذه به.

واستغل بعضهم هذا وقدِم على عمر يشكو أبا موسى الأشعري رضي الله عنه، وقد ذكر الطبري نموذجاً للافتراءات التي تعرض لها أبو موسى رضي الله عنه، وخلاصة ما ذكر أن رجلاً من عَنَزَة يقال له ضبَّة بن مِحْصَن غضب من أبي موسى لأنه لم يرسله في الوفد الذي أرسله إلى عمر يخبره بفتح أصبهان، ويحمل إليه خمس الغنائم، فأتى إلى عمر يشكو أبا موسى، فسأله عمر:

ماذا نقمت على أميرك؟ فقال: تنقّى ستين غلاماً من أبناء الدهاقين لنفسه، وله جارية[1] تدعى عقيلة، تُغذى جفنة وتُعشى جفنة، وليس منا رجل يقدر على ذلك، وله قفيزان[2]، وله خاتمان، وفوّض إلى زياد ابن أبي سفيان[3] ـ وكان زياد يلي

---

(١) وهي جارية أهداها له المغيرة بن شعبة قبل أن يغادر البصرة، ولعله فعل معها هـذا للحديث الذي يقول فيه النبي ﷺ في الذين يؤتون أجورهم مرتين: (ورجل كانت له أمة فغذاها فأحسن غذاءها) انظر الحديث كاملاً في مرويات أبي موسى.

(٢) القفيز: مكيال يكال به الطعام كالبر والرز.

(٣) وكان يسمى زياد ابن أبيه قبل أن يستلحقه معاوية ابن أبي سفيان بنسبه.

أمور البصرة ـ وأجاز الحطيئة[1] بألف. فكتب عمر كل ما قال.

فبعث إلى أبي موسى، فلما قدم حجبه أياماً ثم دعا به، ودعا ضبة بن محصن ودفع إليه الكتاب، فقال: اقرأ ما كتبت، فقرأ: أخذ ستين غلاماً لنفسه، فقال أبو موسى: دُللت عليهم، وكان لهم فداء ففديتهم، فأخذته فقسمته بين المسلمين. فقال ضبة: والله ما كذب ولا كذبت. وقال: له قفيزان، فقال أبو موسى: قفيز لأهلي أقوتهم، وقفيز للمسلمين في أيديهم، يأخذون به أرزاقهم، فقال ضبة: والله ما كذب ولا كذبت. فلما ذكر عقيلة سكت أبو موسى ولم يعتذر، وعلم أن ضبة قد صدقه، قال: وزياد يلي أمور الناس ولا يعرف هذا ما يلي. قال: وجدت له نُبلاً ورأياً فأسندت إليه عملاً. قال: وأجاز الحطيئة بألف، قال: سددت فمه بمالي أن يشتمني، فقال: قد فعلتُ ما فعلت.

فردَّه عمر وقال: إذا قدمت فأرسل إلَيَّ زياداً وعقيلة ففعل، فسأل عمر زياداً عن الفرائض والسنن والقرآن، فوجده فقيهاً، فرده وحبس عقيلة بالمدينة، وقال عمر: ألا إن ضبة العنزي غضب على أبي موسى في الحق أن أصابه، وفارقه مراغماً أن فاته أمر من أمور الدنيا، فصدق عليه وكذب، فأفسد كذبُه صدقه فإياكم والكذب[2].

---

(١) شاعر معروف مشهور بالهجاء.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٤/١٨٥.

حديث الاستئذان

وقد يقول قائل: ولكن حديث الاستئذان يدل على أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، كان لا يثق بأبي موسى الأشعري كل هذه الثقة التي سبق الحديث عنها.

فقد طلب منه أن يأتي بمن يشهد معه على صحة حديث الاستئذان. وهو كما في صحيح البخاري: عن أبي سعيد الخدري قال: كنت في مجلس من مجالس الأنصار، إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور، فقال: استأذنت على عمر ثلاثاً، فلم يُؤذن لي فرجعت، فقال ـ أي عمر ـ: ما منعك؟ قلتُ: استأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت، وقال رسول الله ﷺ: «إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع» فقال ـ أي عمر ـ: والله لتقيمنَّ عليه بينة ـ زاد مسلم: وإلا أوجعتك ـ.

قال أبو موسى: أمنكم أحد سمعه من النبي ﷺ؟ فقال أُبيٌّ بن كعب: والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم، فكنت أصغر القوم، فقمت معه فأخبرت عمر أن النبي ﷺ قال ذلك[1].

وأقول: واقعة حديث الاستئذان لا تدل على أن عمر ما كان يثق بأبي موسى فالتثبت مما يُروى عن النبي ﷺ بهذه الطريقة مذهب لعمر، كان يتبعه مع أبي موسى وغيره، ولهذا

---

(١) متفق عليه واللفظ للبخاري في كتاب الاستئذان رقم ٦٢٤٥.

كان يوصي بتقليل الرواية عن النبي ﷺ خشية الخطأ، وقد جاء في بعض طرق الحديث أن عمر قال لأبي موسى: أما إني لم أتهمك، ولكني أردت أن لا يتجرأ الناس على الحديث عن رسول الله ﷺ. وهذه الزيادة في الموطأ عن ربيعة عن غير واحد من علمائهم. فذكر القصة، وفي آخرها: فقال عمر لأبي موسى: أما إني لم أتهمك ولكني خشيت أن يتقول الناس على حديث رسول الله ﷺ ولكن أحببت أن أستثبت[1].

أبو موسى القائد المجاهد الفاتح

وكما نجح أبو موسى الأشعري رضي الله عنه في إدارة ولاية البصرة، نجح أيضاً في قيادته العسكرية لجندها، وحقق الله على يديه انتصارات كبيرة، وفتح بلاداً كثيرة وحصوناً حصينة وقلاعاً منيعةً، ومكنه الله تعالى من التغلب على أكثر قواد الدولة الفارسية دهاءً ومكراً، وهو القائد العسكري الفارسي المشهور بدهائه وشجاعته (الهرمزان)، تمكن منه أبو موسى رضي الله عنه، وقهره وأسره بعد حصار طويل مرير في قلعة تُستر[2]، وأرسله إلى أمير المؤمنين عمر وهو يرسف في قيوده.

---

(١) انظر فتح الباري ١١/٣٠.

(٢) بلد معروف في الأهواز يسمى الآن شوستر.

فبعـد معركـة القادسيـة وفتح المـدائن، انحازت فلول الجيوش الفارسية المنهزمة إلى التحصن في المدن والقلاع الواقعة في خراسان والأهواز وأصبهان، فقام أبو موسى رضي الله عنه بملاحقة هذه القوات ومحاصرتها، وفتح الحصون والقلاع التي تحصنت فيها، وكانت معارك حصار تُستـر أشدها، إذ استمرت ستة أشهر، استشهد في أثنائها عدد من كبار أبطال الصحابة وفرسانهم كهرثمة بن أعين، ومجزأة بن ثور، والبراء بن مالك رضي الله عنهم.

وقد استشهد البراء بن مالك أخو أنس بن مالك خادم النبي ﷺ في أيام معارك حصار تستر، بعد أن قتل مبارزة أكثر من مائة من فرسان الفرس، ففي هذا اليوم اشتد القتال، وخـرج الفرس من حصـونهم واستبسلوا في القتـال حتى تضعضعت صفوف جند المسلمين، فقال بعضهم للبراء: يا براء أقسم على ربك، وكان رضي الله عنه قد قال فيـه النبي ﷺ: «كم من أشعث أغبرَ ذي طِمْرين لا يُؤبه له، لو أقسم على الله لأبرَّه. منهم البراء بن مالك»[١].

فقال: (أقسم عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، وألحقتني بنبيك) فهزم الله الفرس وقُتل البراء رضي الله عنه[٢].

---

(١) رواه الترمذي من حديث أنس بن مالك.

(٢) انظر أنس بن مالك ص ٦١.

الصلاة في القتال

وفي صحيح البخاري: باب الصلاة عند مناهضة الحصون ولقاء العدو.

وقال الأوزاعي: إن كان تهيأ الفتح ولم يقدروا على الصلاة صلُّوا إيماءً كل امرىء لنفسه، فإن لم يقدروا على الإيماء أخَّروا الصلاة حتى ينكشف القتال، فإن لم يقدروا صلُّوا ركعة وسجدتين، لا يُجزيهم التكبير ويؤخروها حتى يأمنوا، وبه قال مكحول. وقال أنس[1]: (حضرتُ عند مناهضة حصن تستر عند إضاءة الفجر - واشتد اشتعال القتال - فلم يقدروا على الصلاة، فلم نصلِّ إلا بعد ارتفاع النهار، فصليناها ونحن مع أبي موسى، ففُتح لنا). وقال أنس: (ما يسرني بتلك الصلاة الدنيا وما فيها)[2].

وسئل قتادة: عن الصلاة إذا حضر القتال فقال: حدثني أنس بن مالك أنهم فتحوا تستر، وهو يومئذ على مقدمة الناس، وعبدالله بن قيس - يعني أبا موسى الأشعري - أميرهم[3].

ويدل قول أنس على حزم أبي موسى رضي الله عنهما في

---

(١) وصله ابن سعد وابن أبي شيبة من طريق قتادة وذكره خليفة في تاريخه انظر ٢/٤٣٥ فتح الباري.

(٢) صحيح البخاري في كتاب صلاة الخوف ٢/٤٣٤ فتح الباري.

(٣) المرجع نفسه.

إدارة المعركة، فقد أمر باستمرار القتال ومواصلة النزال طول الليل بعد نهار من القتال شديد مرير، لأنه رأى اقتراب النصر والفتح، كما أنه أمر بتأخير صلاة الفجر عن وقتها واستمرار القتال، حتى لا يُعطي العدوّ أي فرصة للاستفادة من توقف القتال.

وقد اقتدى أبو موسى بالنبي ﷺ، ففي يوم من أيام غزوة الخندق اشتد حصار المشركين في وقت صلاة العصر، فأخَّرها ﷺ، دلَّ على ذلك ما رواه البخاري عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: جاء عمر يوم الخندق، فجعل يسبُّ كفار قريش، ويقول: يا رسول الله ما صلَّيتُ العصر حتى كادت الشمس أن تغيب، فقال النبي ﷺ:

«وأنا والله ما صليتُها بَعْدُ» قال: فنزل إلى بُطحان[1]، فتوضأ وصلى العصر بعد ما غابت الشمس، ثم صلى المغرب بعدها[2].

وجدَّ أبو موسى في متابعة الفتح، ففتح مدينة السوس بعد محاصرتها، ووجد فيها جسد نبي الله (دانيال)، وكان أهل البلد يستسقون به، وكتب أبو موسى إلى عمر فيه، فكتب إليه يأمره بتوريته، فكفَّنه ودفنه المسلمون، وكتب أبو

---

(١) وادٍ في المدينة المنورة.

(٢) صحيح البخاري في صلاة الخوف رقم ٩٤٥.

موسى إلى عمر بأنه كان عليه خاتم، وهو عندنا، فكتب إليه أن تختَّمْهُ. وفي فَصِّه نقْشُ رجل بين أسدين[١].

إلى أصبهان

وقاد أبو موسى الأشعري رضي الله عنه جند البصرة في معركة نهاوند، المعركة الثانية الفاصلة بعد القادسية، والتي كان على رأس جند المسلمين فيها الصحابي الجليل والفاتح العظيم النعمان بن مُقرِّن رضي الله عنه، والذي كان أول شهيد فيها، وبعد هذه المعركة أمر عمر رضي الله عنه جيوش العراق بطلب جيوش فارس حيث كانت، وأصدر أوامره إلى جند البصرة بقيادة أبي موسى الأشعري بالانسياح في أرض فارس وكرمان وإصبهان[٢]، فقام بذلك رضي الله عنه أتم قيام، ففتح قُم وقاشان، ثم بلغه أن جماعة من الأكراد اجتمعوا مع طائفة من الفرس قرب نهر تيري، فسار إليهم أبو موسى، واستخلف على حربهم الربيع بن زياد، وتابع سيره إلى إصبهان لفتحها[٣].

حاول أهل أصبهان خداع أبي موسى، فأخفقوا، فقد كان رضي الله عنه على حذر من غدرهم وخيانتهم. أخرج ابن

(١) تاريخ الطبري ٤/٩٣.

(٢) المرجع نفسه. انظر ٤/١٣٧.

(٣) انظر البداية والنهاية ٧/١٢٧.

سعد عن بشير بن أبي أمية عن أبيه أن الأشعري نزل بأصبهان، فعرض عليهم الإسلام فأبَوا، فعرض عليهم الجزية، فصالحوه على ذلك، فباتوا على صلح، حتى إذا أصبحوا أصبحوا على غدر، فبادرهم القتال، فلم يكن أسرع من أن أظهره الله عليهم(١).

وكان رضي الله عنه يحض جنده على الثبات والإخلاص لله تعالى، ويروي لهم أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، أرأيتَ الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياءً، فأيُّ ذلك في سبيل الله؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله عزّ وجلّ»(٢).

ويروي لهم عند التحامهم بالعدو ما يثبِّتهم ويدفعهم إلى الاستبسال والشهادة، فعن أبي بكر بن عبدالله بن قيس قال: سمعت أبي وهو بحضرة العدو يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إن أبوابِ الجنة تحت ظلال السيوف» قال: فقام رجل من القوم رثُّ الهيئة، فقال: يا أبا موسى آنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قال: فرجع إلى أصحابه فقال:

---

(١) حياة الصحابة ١/ ٢٣٠.

(٢) مسند أحمد ٤/٣٩٧.

أقرأ عليكم السلام، ثم كسر جفن سيفه، فألقاه، ثم مشى بسيفه فضرب به حتى قتل[1].

ودلَّ الحديث على أن أبا موسى كان يصطحب أولاده في الجهاد ويشهد بهم القتال. ولفظ الحديث في صحيح البخاري: عن عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها العدو، انتظر حتى مالت الشمس، ثم قام في الناس خطيباً قال: «أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو، وسَلُوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف» ثم قال: «اللهم مُنْزل الكتاب، ومُجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم»[2].

وكان رضي الله عنه يواسي أصحابه وجنوده إذا مات أحد منهم، ففي مسند أحمد أن رجلاً يقال له حممة، كان من أصحاب محمد ﷺ، خرج إلى أصبهان غازياً في خلافة عمر رضي الله عنه، فقال: (اللهم إن حممة يزعم أنه يحب لقاءك، فإن كان حممة صادقاً فاعزم له صدقه، وإن كان كاذباً فاعزم عليه وإن كره، اللهم لا ترد حممة من سفره هذا)، قال: فأخذه الموت فمات بأصبهان، فقام أبو موسى فقال:

---

(١) مسند أحمد ٤/٣٩٦ وفي صحيح مسلم ٣/١٥١١.

(٢) صحيح البخاري في كتاب الجهاد ٢٩٦٦.

(يا أيها الناس إنا والله ما سمعنا فيما سمعنا من نبيكم ﷺ، وما بلغ علمنا إلا أن حممة شهيد)[1].

وفي نهاية العام الثالث والعشرين من الهجرة قتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه شهيداً، وأبو موسى الأشعري على ولاية البصرة يعلِّم ويجاهد، ويدعو إلى الله تعالى. ورأى رضي الله عنها رؤيا، أوَّلها بموت عمر رضي الله عنهما.

أخرج ابن سعد في الطبقات بسنده عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: (رأيت كأني أخذت جوادَّ كثيرة، فاضمحلَّت حتى بقيت جادَّةٌ واحدة، فسلكتها حتى انتهيت إلى جبل، فإذا رسول الله ﷺ فوقه، وإلى جنبه أبو بكر رضي الله عنه، وإذا هو يومىء إلى عمرِ رضي الله تعالى عنه، أنْ تعالَ. فقلتُ: إنا لله وإنا إليه راجعون، مات والله أمير المؤمنين)[2].

---

(١) المسند ٢/٤٠٨.

(٢) حياة الصحابة ٣/٦٦٦.

في عهد عثمان رضي الله عنه

أقر عثمان بن عفان رضي الله عنه أبا موسى الأشعري بعد أن بويع بالخلافة، وقد مرَّ معنا أن عمر بن الخطاب أوصى من يأتي بعده بأن يقر الأشعري على ولايته أربع سنين، وأول كتاب أرسله عثمان رضي الله عنه إلى ولاته، قال فيه: (أما بعد: فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة، ولم يتقدم إليهم أن يكونوا جُباة، وإن صدر هذه الأمة خُلقوا رعاة، ولم يُخلقوا جباة، وليُوشكن أئمتكم أن يصيروا جباة ولا يكونوا رعاة، فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء، ألا وإن أعدل السيرة أن تنظروا في أمور المسلمين فيما عليهم، فتعطوهم ما لهم، وتأخذوهم بما عليهم، ثم تُثَنّوا بالذمة[1]، فتعطوهم الذي لهم، وتأخذوهم بالذي عليهم، ثم العدو الذي تنتابون، فاستفتحوا عليهم بالوفاء)[2].

بقي أبو موسى رضي الله عنه على ولاية البصرة في عهد

---

(١) أي بأهل الذمة.

(٢) تاريخ الطبري ٤/٢٤٥.

عثمان رضي الله عنه ست سنين، وقيل ثلاث، كذا ذكر الطبري في تاريخه، والرواية الأولى أرجح وأصح، وقد ذكر الطبري في أحداث سنة تسع وعشرين ما يؤكدها ويرجحها فقال: ففيها عزل عثمان أبا موسى الأشعري عن البصرة، وكان عامله عليها ست سنين[1].

وظل رضي الله عنه على خطته التي كان عليها في عهد عمر بن الخطاب: الجهاد والعلم، قال ابن كثير رحمه الله في أعمال سنة أربع وعشرين: وفيها افتتح أبو موسى الأشعري الري بعدما نقضوا العهد الذي كان واثقهم عليه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه[2].

عزل أبي موسى عن ولاية البصرة

في سنة تسع وعشرين للهجرة عزل عثمان أبا موسى رضي الله عنهما عن ولاية البصرة، قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في أحداث سنة تسع وعشرين: ففيها عزل عثمان أبا موسى الأشعري عن البصرة، وكان عامله عليها ست سنين، وولاها عبدالله بن عامر بن كريز، وهو يومئذ ابن خمس وعشرين سنة[3].

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٢٦٤.
(٢) البداية والنهاية ٧/١٥٠.
(٣) تاريخ الطبري ٤/٢٦٤.

واستقبل أبو موسى كتاب الخليفة بعزله برضاً تام، وأخبر أهل البصرة به، وأثنى على واليهم الجديد عبدالله بن عامر، ودعاهم إلى طاعته فقال: (يأتيكم غلام خرّاج ولّاج[1]، كريم الجدات والخالات والعمات، يُجمع له الجندان)[2].

وسبب عزله أن بعض أهل البصرة طلب من عثمان رضي الله عنه أن يعزله، وأراد عثمان أن يولي الشباب للاستفادة منهم في ميادين الفتح والجهاد.

أكاذيب باطلة

قال الطبري رحمه الله: خرج غَيلانُ بن خَرَشة الضبي إلى عثمان بن عفان فقال: أما لكم صغير فتستشبوه فتولوه البصرة، حتى متى يلي هذا الشيخ البصرة ـ يعني أبا موسى ـ وكان وليها بعد موت عمر ست سنين[3].

ثم ذكر الطبري رحمه الله رواية ثانية مليئة بالأكاذيب والافتراءات على أبي موسى رضي الله عنه، ذكرها كما قال في مقدمة كتابه على مسؤولية رواتها، فقال: ولما كان في السنة الثالثة كفر أهل إيذج والأكراد، فنادى أبو موسى في

---

(١) أي كثير العطاء والجهاد، وكان له سابقة جهاد في كابل وسجستان.
(٢) أي تجمع له قيادة جند البصرة وجند خراسان، انظر تاريخ الطبري ٤/٢٦٦.
(٣) تاريخ الطبري ٤/٢٦٤.

الناس، وحضّهم وندبهم، وذكر من فضل الجهاد في الرُّجلة - سيراً على الأقدام - حتى حمل نفر على دوابهم، وأجمعوا أن يخرجوا رُجّالاً، وقال آخرون: لا والله لا نعجل بشيء حتى ننظر ما صنيعه؟ فإن أشبه قولُه فعلَه فعلنا كما فعل أصحابنا.

فلما كان يوم خرج أخرج ثقَلَه من قصره على أربعين بغلاً، فتعلّقوا بعنانه، وقالوا: احملنا على بعض هذه الفضول، وارغب من الرجلة فيما رغبتنا فيه، فقنّع القوم حتى تركوا دابته ومضى.

فأتوا عثمان فاستعفوه منه وقالوا: ما كل ما نعلم نحب أن نقوله، فأبدلنا به، فقال: من تحبون؟ فقال غيلان بن خرشة: في كل أحد عوض من هذا العبد الذي قد أكل أرضنا، وأحيا أمر الجاهلية فينا، فلا ننفك من أشعري كان يعظم ملكه عن الأشعريين، ويستصغر ملك البصرة، وإذا أمرت علينا صغيراً كان فيه عِوضٌ منه.... فدعا عبدالله بن عامر وأمره على البصرة[1].

والتحامل على أبي موسى والكذب والافتراء عليه أمران ظاهران في هذه الرواية، أفيعقل أن يكون أبو موسى الصحابي المجاهد مقرىء أهل البصرة ومعلمهم القرآن

---

(١) المرجع نفسه ٤/٢٦٥.

والفقه، يعمل على إحياء أمر الجاهلية في البصرة؟! اللهم إنه عين الكذب على هذا الصحابي الجليل، ومتى كان للأشعريين ملك حتى كان أبو موسى يعظم هذا الملك ويستصغر بجانبه ملك البصرة؟! ثم كيف يمكن أن يأكل أبو موسى خيرات أرض البصرة، وهو التقي الورع العابد العفيف، الذي ما كان يتطلع إلى الرتب والمناصب كما مر معنا؟ وسيأتي أيضاً في مناقبه وفضائله ما يؤيد اتصافه بالعفة والورع والأمانة رضي الله عنه، ولو كان فيه أي ميل إلى ذلك ما ولاه عمر على البصرة، وما أقره عليها كل هذه السنوات، وما أوصى بإقراره عليها بعده رضي الله عنه.

وأين خيرات البصرة التي أكلها، وما كان معه حين عزل وخرج منها سوى ست مائة درهم؟ روى الذهبي عن أبي بُرْدة: سمعت أبي يقسم: ما خرج حين نُزع عن البصرة إلا بست مائة درهم[1].

وكذلك روى ابن سعد بسنده إلى أبي بُردة قال: حدثتني أمي قالت: خرج أبو موسى حين نزع عن البصرة، وما معه إلا ستمائة درهم عطاء عياله[2].

فأين الأحمال والأثقال المحملة على أربعين بغلاً؟ وكيف

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢/٣٩١.
(٢) الطبقات ٤/١١١.

يحمل أبو موسى متاعه على أربعين بغلاً حين يخرج إلى الجهاد، وقد كان يخرج إلى الجهاد مع رسول الله ﷺ يعتقب البعير الواحد مع ستة من قومه، كما مر معنا، وكيف يحضهم على الجهاد مشاةً بينما هو راكب، وهو الذي أتى إلى رسول الله ﷺ يستحمله لنفسه ولقومه ليخرجوا معه إلى تبوك، لماذا يحضهم على المشي إلى الجهاد وعنده سعة من الدواب؟!

كل ذلك يؤكد أنها رواية مشحونة بالكذب والافتراء على هذا الصحابي الكريم رضي الله عنه وأرضاه.

الولاية على الكوفة

وجد أبو موسى رضي الله عنه أن الأنسب له ولوالي البصرة الجديد أن يتحول عن الإقامة في البصرة، فودع تلاميذه وأصحابه فيها وغادرها إلى الكوفة[1]، وانصرف فيها إلى نشاطه العلمي يعلِّم ويتعلم، ويقرأ القرآن الكريم بصوته الشجي الندي ويُقرئه، واستفاد من الصحابي الجليل عبدالله ابن مسعود في سنواته الأخيرة في الكوفة، فكان يأتيه ويجلس إليه الساعات الطويلة يتذاكر معه حديث النبي ﷺ. ففي مسند أحمد عن شقيق بن وائل، وهو من كبار تلاميذ عبدالله

(١) ذكرت بعض الروايات التي رواها ابن عساكر أنه خرج على نفس الجمل الذي دخل عليه البصرة. قال ابن شوذب: دخل البصرة على جمل أورق، وعليه خرج لما عُزل. انظر سير أعلام النبلاء ٢/٣٨٩.

ابن مسعود في الكوفة، قال: كان عبدالله وأبو موسى جالسين وهما يتذاكـران الحديث، فقـال أبو مـوسى: قال رسـول الله ﷺ: «بين يدي الساعة أيام، يرفع فيها العلم، وينزل فيها الجهل، ويكثر فيها الهَرجُ». والْهَرْجُ: القتْلُ[1]. وفي صحيح البخاري: قال أبو موسى: والهرج: القتل بلسان الحبشة.

ولم تطل هذه الفترة من حياة أبي موسى رضي الله عنه، إذ سرعان ما سعت إليه ولاية الكوفة دون أن يسعى إليها، فقد أحبه أهل الكوفة والتف حوله طلاب العلم وشُداة المعرفة فيها، ولما حدث شغب على واليها سعيد بن العاص، طالب أهل الكوفة الخليفة عثمان رضي الله عنه بتعيين أبي موسى والياً عليهم، فاستجاب لهم عثمان وعين أبا موسى والياً على الكوفة.

ففي عام أربع وثلاثين من الهجرة زاد نشـاط السبئية والموتورين في إشاعة الأكاذيب على عثمان رضي الله عنه، واستدعى عثمان ولاته إلى المدينة لاستشارتهم، فـاستغل مدبـرو الفتنة في الكوفة غياب واليهم سعيد بن العاص رضي الله عنه، فثاروا عليه، وقالوا: والله لا يرجع إلينا أبـداً، وتجمعوا في مكان يسمى الجَرَعة، ومنعوا سعيداً من دخول الكوفة، فرجع رضي الله عنه إلى عثمان كسْراً للفتنة، ووقف

---

(١) المسند ٤/٣٩٢.

أبو موسى موقفاً كريماً، إذ حاول أن يمنع الفتنة ويهدِّىء الناس، فوقف في مسجد الكوفة خطيباً وقال: (أيها الناس لا تنفروا في مثل هذا، ولا تعودوا لمثله، الزموا جماعتكم والطاعة، وإياكم والعجلة، اصبروا فكأنكم بأمير. قالوا: فصلِّ بنا، قال: لا إلا على السمع والطاعة لعثمان بن عفان، قالوا: على السمع والطاعة لعثمان)[1].

هكذا تمكن رضي الله عنه من إطفاء نار الفتنة، وردَّ الناس إلى طاعة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، وفي الوقت نفسه رفض رضي الله عنه طلبهم أن يكون والياً عليهم، حتى أتاه كتاب التولية من عثمان رضي الله عنه.

قال ابن كثير رحمه الله: لما رجعت العمال إلى أقاليمها امتنع أهل الكوفة من أن يدخل عليهم سعيد بن العاص ولبسوا السلاح، وحلفوا ألا يمكنوه من الدخول حتى يعزله عثمان ويولي عليهم أبا موسى الأشعري، وأحجم سعيد عن قتالهم، وكرَّ راجعاً إلى المدينة وكسر الفتنة، فأعجب ذلك أهل الكوفة، وكتبوا إلى عثمان أن يولي عليهم أبا موسى الأشعري، فأجابهم عثمان إلى ما سألوه إزاحة لعذرهم، وإزالة لشبههم، وقطعاً لعللهم[2].

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٤/٣٣٢.

(٢) انظر البداية والنهاية ٧/١٦٧.

قبل أبو موسى تحمل مسؤولية ولاية الكـوفة في هـذه الظروف القاسية، مع كـراهته لهـا، دَرْءاً للفتنة، وإطفـاءً لنارها، وسداً لثغرة فتحها الثائرون على عثمان رضي الله عنه، وبقي رضي الله عنه على ولاية الكوفة حتى قتل عثمان شهيداً في المدينة المنورة، وفتـح قتله باب الفتنـة على المسلمين.

في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه

تتابعت الأحداث بعد استشهاد الخليفة الراشد الثالث عثمان رضي الله عنه. بويع علي رضي الله عنه بالخلافة في المدينة المنورة، ووزع ولاته وعماله على الأمصار، وأقر أبا موسى على الكوفة فلم يرسل إليها عاملاً، وأرسل سهل بن حُنَيف والياً على بلاد الشام بدل معاوية، فردته خيل في تبوك قائلين له: (إن كان بعثك عثمان فحيهلا بك، وإن كان بعثك غيره فارجع).

وبينما كان علي رضي الله عنه يتجهز في المدينة للمسير إلى بلاد الشام لعزل معاوية عنها بالقوة، علم بخروج أم المؤمنين السيدة عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم إلى العراق لإحضار قوة عسكرية تتمكن من معاقبة الثائرين على عثمان والاقتصاص منهم، فخرج رضي الله عنه مسرعاً في أثرهم(١).

---

(١) انظر تفصيل ما حدث بعد ذلك في كتاب: السيدة عائشة أم المؤمنين وعالمة نساء الإسلام، للمؤلف.

ولما وصل إلى قرب البصرة، أرسل محمد بن أبي بكر، ومحمد بن جعفر إلى أهل الكوفة ليستنفرا الناس للخروج إلى نصرته، وأرسل إلى أبي موسى يقره على ولاية الكوفة بشرط أن يبايعه وينضم إليه، ويحث الناس على الخروج لنصرته.

رأي وموقف

لكن أبا موسى رضي الله عنه كان له رأي آخر، فقد كان يرى أن ما حدث من اختلاف ونزاع بعد مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه فتنة يجب على المسلم أن يعتزلها حتى يسلم له دينه، ورأيه هذا كان ينادي به قبل حدوث ما حدث، فقد كان رضي الله عنه يحذر في خطبه ودروسه ومجالسه من الفتن، ويحض على اعتزالها عند وقوعها، ويروي للناس عموماً ولتلاميذه خصوصاً ما سمعه من الأحاديث النبوية الشريفة، من رسول الله ﷺ في هذا الموضوع. والمتتبع لمسند أبي موسى لا بدَّ أن يرى كثرة الأحاديث التي رواها أبو موسى في موضوع الفتن منها:

عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: «إن بين يدي الساعة الهَرْج» قالوا: وما الهرج؟ قال أبو موسى: القتل، قالوا: أكثر مما نقتل إنا لنقتل في كل عام أكثر من

سبعين ألفاً، قال: ليس بقتْلكم المشركين، ولكن قتْلُ بعضكم بعضاً، وقالوا: ومعنا عقولنا يومئذ؟!.

قال: إنه لتنزع عقول أهل ذلك الزمان، ويخلف له هباء من الناس[1]، يحسب أكثرهم أنهم على شيء، وليسوا على شيء. قال عفان ـ أحد رواة الحديث عن أبي موسى ـ في حديثه: قال أبو موسى: والذي نفسي بيده ما أجد لي ولكم منها مخرجاً إن أدركتني وإياكم، إلا أن نخرج منها كما دخلنا لم نصب منها دماً ولا مالاً[2].

كان رضي الله عنه يحدِّث بهذا الحديث كثيراً على سبيل التحذير من الفتن، ففي طريق عودته إلى البصرة من فتح أصبهان نزلوا منزلاً للراحة، فاجتمعوا حوله فحدثهم قائلاً: ألا أحدثكم حديثاً كان رسول الله ﷺ يحدثناه؟ فقلنا: بلى يرحمك الله، قال: كان رسول الله ﷺ يحدثنا أن بين يدي الساعة الهرج، قيل: وما الهرج؟ قال: الكذب والقتل قالوا: أكثر مما نقتل الآن؟ قال: إنه ليس بقتلكم الكفار، ولكنه قتل بعضكم بعضاً، حتى يقتل الرجل جاره، ويقتل أخاه، ويقتل عمه، ويقتل ابن عمه!! قالوا: سبحان الله! ومعنا عقولنا؟! قال: لا إلا أنه ينزع عقول أهل ذاك الزمان حتى يحسب

---

(١) أي يبقى في هذا الزمن جماعة من الناس لا قيمة لهم عند الله تعالى ولا وزن.

(٢) مسند أحمد ٤/٣٩٢.

أحدكم أنه على شيء، وليس على شيء، والذي نفس محمد بيده لقد خشيت أن تدركني إياكم تلك الأمور، وما أجد لي ولكم منها مخرجاً فيما عهد إلينا نبينا ﷺ إلا أن نخرج منها كما دخلناها لم نحدث فيها شيئاً[1].

وعن أبي موسى عن النبي ﷺ: «كسِّروا قِسِيَّكم، وقطِّعوا أوتَاركم ـ يعني في الفتنة ـ، والزموا أجواف بيوتكم، وكونوا فيها كالخيِّر من ابنَيْ آدم»[2] أي كابن آدم الذي قتله أخوه، والذي أخبر سبحانه عنه في قوله: ﴿لئن بسطتَ إليّ يدكَ لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك، إني أخاف الله رب العالمين﴾[3].

وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً، ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً. القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، فاكسروا قسيَّكم وقطِّعوا أوتاركم واضربوا بسيوفكم الحجارة، فإن دُخل على أحدكم بيته فليكن كخيِّر ابني آدم»[4].

---

(١) المسند ٤/٤٠٦.
(٢) المسند ٤/٤٠٨.
(٣) المائدة: الآية ٢٨.
(٤) المسند ٤/٤١٦.

ولما قتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وحدث الاختلاف، رأى أبو موسى أن ذلك أوائل الفتنة التي حذر منها النبي ﷺ فقرر اعتزال جميع المختلفين والمتخاصمين، فلم ينضم إلى أي فريق، ودعا الناس إلى مثل موقفه، وكان له أخ يخالفه في رأيه، ويرى الانضمام إلى جانب علي رضي الله عنه ونصرته، فكان أبو موسى ينهاه، فعن الحسن أن أخاً لأبي موسى كان يتسرع في الفتنة، فجعل ينهاه ولا ينتهي، فقال: إن كنت أرى أنه سيكفيك مني اليسير، وإن رسول الله ﷺ قال: «إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، فقتل أحدهما الآخر، فالقاتل والمقتول في النار، قالوا: يا رسول الله هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: إنه أراد قتل صاحبه»[١].

وبعد أن حدث ما حدث وقُتل من قُتل، كان رضي الله عنه إذا روى حديث رسول الله ﷺ: «إذا مرَّ أحدكم في مسجد أو سوق أو مجلس، وبيده نبال، فليأخذ بنصالها» علَّق على ذلك قائلاً بصدر ممتلىءٍ بالحزن والألم: (فوالله ما متنا حتى سدَّدها بعضنا في وجوه بعض)[٢].

والجدير بالذكر أن الرأي الذي رآه أبو موسى، والموقف الذي وقفه، لم ينفرد به وحده، بل كان رأي كثير من كبار

---

(١) المسند ٤/٤٠١.

(٢) المسند ٤/٤٠٠.

الصحابة كسعد بـن أبي وقاص، وعبدالله بن عمر، وأبي هريرة، وأبي بكْرة وغيرهم رضي الله عنهم وأرضاهم.

عَزْلُ أبي موسى عن الكوفة

تعرَّض رضي الله عنه بسبب رأيه وموقفه هذا إلى ضغط شديد من أنصار علي رضي الله عنه ورسله الذين أرسلهم إلى الكوفة، ومع ذلك ظل رضي الله عنه متمسكاً برأيه ثابتاً على موقفه، مما أدَّى إلى عزله عن الكوفة، وعرّضه هذا أيضاً إلى حملة الأكاذيب والافتراءات التي وجهت إليه رضي الله عنه بعد ذلك.

وأقرب دليل على كثرة الأكاذيب والاتهامات التي تعرض لها أبو موسى رضي الله عنه، التباين الكبير بين الصورة التي نقلها رواة الأخبار في كتب التاريخ، وبين الصورة التي ذكرها المحدِّثون في أوثق وأصح طرق نقل الأحاديث والأخبار، في كيفية عزله عن الكوفة.

عند المؤرخين

ذكرنا فيما سبق أن علياً رضي الله عنه أرسل إلى الكوفة محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر، قال الطبري رحمه الله: ولما قدم محمد ومحمد على الكوفة وأتيا أبا موسى بكتاب أمير المؤمنين، وقاما في الناس بأمره، لم يجابا إلى

شيء، ودخل ناس من أهل الحِجى على أبي موسى، فقالوا: ما ترى في الخروج؟ فقال: إن الذي تهاونتم به فيما مضى هو الذي جرّ عليكم ما تروْن ـ أراد تهاونهم عن نصرة الخليفة عثمان ـ وما بقي إنما هما أمران: القعود سبيل الآخرة، والخروجُ سبيل الدنيا، فاختاروا. فلم ينفر إليه أحد، فغضب الرجلان وأغلظا لأبي موسى، فقال أبو موسى: والله إن بيعة عثمان رضي الله عنه لفي عنقي وعنق صاحبكما، فإن لم يكن بدٌّ من قتال، لا نقاتل حتى يُفرغ من قتلة عثمان حيث كانوا.

فانطلقا إلى علي فوافياه بذي قار وأخبراه الخبر، فأرسل علي عبدالله بن عباس والأشتر، فقدما الكوفة وكلّما أبا موسى، فأصر رضي الله عنه على موقفه، وخطب في أهل الكوفة فقال: .... إنها فتنة صماء، النائم فيها خير من اليقظان، واليقظان فيها خير من القاعد، والقاعد خير من القائم، والقائم خير من الراكب، فكونوا جرثومة من جراثيم العرب، فاغمدوا السيوف، وانصلوا الأسنة، واقطعوا الأوتار، وآووا المظلوم والمضطهد حتى يلتئم هذا الأمر، وتنجلي هذه الفتنة.

ورجع ابن عباس إلى علي بالخبر، فدعا ابنه الحسن وعمار بن ياسر، فأرسلهما... فخرج أبو موسى فلقي الحسن فضمّه إليه، وأقبل على عمار فقال: يا أبا اليقظان

أعدوتَ فيمن عدا على أمير المؤمنين، فأحللت نفسك مع الفِجّار؟ فقال: لم أفعلْ ولم تسؤْني، وقطع عليهما الحسن فأقبل على أبي موسى فقال: يا أبا موسى لم تثبّط الناس عنا؟ فوالله ما أردنا إلا الإصلاح، ولا مثلُ أمير المؤمنين يُخاف على شيء، فقال: صدقت بأبي أنت وأمي، ولكن المستشار مؤتمن، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الراكب» قد جعلنا الله عزّ وجلّ إخواناً وحرَّم علينا أموالنا ودماءنا، وقال: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً ﴾[1] وقال عزّ وجلّ: ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم ﴾[2].

فغضب عمار وساءه وقام وقال: يا أيها الناس، إنما قال له خاصة أنت فيها قاعداً خير منك قائماً. وقام رجل من بني تميم، فقال لعمار: اسكت أيها العبد، أنت أمس مع الغوغاء، واليوم تسافه أميرنا. . . . وثار الناس، وجعل أبو موسى يكفكف الناس[3].

واستغل الأشتر النخعي انشغال الناس في المسجد، فأثار

---

(١) النساء: الآية ٢٩.

(٢) النساء: الآية ٩٣.

(٣) تاريخ الطبري ٤/ ٤٨٠ بتصرف واختصار.

بعض الغوغاء والرعاع والغلمان، واتجه بهم إلى قصر الإمارة فاقتحمه، فأتى غلمان لأبي موسى إلى المسجد وقالوا له: هذا الأشتر قد دخل القصر فضربنا وأخرجنا، فنزل أبو موسى فدخل القصر، فصاح به الأشتر: اخرجْ من قصرنا أخرجَ الله نفسَك، فوالله إنك لمن المنافقين قديماً، قال: أجّلني هذه العشيَّة، فقال: هي لك ولا تبيتنَّ في القصر الليلة، ودخل الناس ينتهبون متاع أبي موسى، فمنعهم الأشتر وأخرجهم من القصر، وقال: إني أخرجته، فكف الناس عنه[1].

تلك هي الصورة التي صوَّرت أحداث عزل أبي موسى عن ولاية الكوفة، ورغم ما فيها فقد أظهرت صلابة أبي موسى في تمسكه برأيه وإصراره على موقفه. رضي الله عنه.

عند المحدثين

أما عند المحدِّثين فتظهر لنا الصورة مختلفة من خلال الأحاديث التالية:

ففي صحيح البخاري عن عبدالله بن زياد الأسدي قال: لما سار طلحةُ والزبيرُ وعائشة إلى البصرة بعث علي عمار بن ياسر وحسنَ بن علي، فقدما علينا الكوفة، فصعدا المنبر، فكان الحسن بن علي فوق المنبر في أعلاه وقام عمار أسفلَ من الحسن، فاجتمعنا إليه، فسمعت عماراً يقول: إن

---

(١) المرجع نفسه ٤/٤٨٧.

عائشة قد سارت إلى البصرة، والله إنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم ليعلم إياه تطيعون أم هي.

وفيه أيضاً عن أبي وائل قال: دخل أبو موسى وأبو مسعود[1] على عمار حيث بعثه علي إلى أهل الكوفة يستنفرهم، فقالا: ما رأيناك أتيت أمراً أكره عندنا من إسراعك في هذا الأمر منذ أسلمت. فقال عمار: ما رأيت منكما منذ أسلمتما أمراً أكره عندي من إبطائكما عن هذا الأمر. وكساهما حلة، ثم راحوا إلى المسجد[2].

وفيه أيضاً عن شقيق بن سلمة: كنت جالساً مع أبي مسعود وأبي موسى وعمار، فقال أبو مسعود: ما من أصحابك أحد إلا لو شئتُ لقلتُ فيه غيرك، وما رأيت منك شيئاً منذ صحبت النبي ﷺ أعيبَ عندي من استسراعك في هذا الأمر، قال عمار: يا أبا مسعود وما رأيت منك ولا من صاحبك هذا شيئاً منذ صحبتما النبي ﷺ أعيبَ عندي من إبطائكما في هذا الأمر، فقال أبو مسعود ـ وكان موسراً ـ: يا غلام هات حلَّتين، فأعطى إحداهما أبا موسى والأخرى عماراً، وقال: روحا فيه إلى الجمعة[3].

---

(١) هو عقبة بن عمرو الأنصاري صحابي بدري، سكن الكوفة، وكان موسراً جواداً.

(٢) و (٣) صحيح البخاري في كتاب الفتن رقم ٧١٠٠، ٧١٠٢، ٧١٠٥.

قال ابن حجر: قال ابن بطال: فيما دار بينهم دلالة على أن كلاً من الطائفتين كان مجتهداً، ويرى أن الصواب معه. قال: وكان أبو مسعود موسراً جواداً، وكان اجتماعهم عند أبي مسعود في يوم الجمعة فكسا عماراً حلة ليشهد بها الجمعة لأنه كان في ثياب السفر وهيئة الحرب، فكره أن يشهد الجمعة في تلك الثياب، وكره أن يكسوه بحضرة أبي موسى، ولا يكسو أبا موسى، فكسا أبا موسى أيضاً[1]. فالقضية من خلال هذه الأحاديث لم تتجاوز اختلاف رأي وتباين نظر، ولم تصل كما زعم رواة الأخبار في كتب التاريخ، إلى حد السباب والشتائم وتبادل التهم.

من مأساة الجمل إلى مأساة صفين

اعتزل أبو موسى بعد أن عزل عن الكوفة كل أطراف النزاع، وترك العراق إلى الحجاز، فأقام في حرم الله تعالى في مكة المكرمة.

وحدثت مأساة الجمل بعد أن توصل الفريقان إلى الاتفاق والصلح، وأثمرت مساعي القعقاع بن عمرو رضي الله عنه، ولكن الثائرين على عثمان أدركوا أن الصلح لم يكن في صالحهم وأن الدائرة ستدور عليهم، فاجتمعوا وائتمروا فيما

---

(١) فتح الباري ١٣/٥٩.

بينهم على إنشاب الحرب بين الفريقين في ظلمة الفجر، وتمَّ لهم ما أرادوا ووقعت مأساة يوم الجمل(١).

وبعد مأساة الجمل حدثت مأساة صفين بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، فقد فشلت مساعي الصلح والإصلاح التي استمرت بين الفريقين ثلاثة أشهر، ووصلا إلى الطريق المسدود، ووقع القتال، ولم تحسم المعركة في يوم واحد كما حدث في معركة الجمل، بل استمرت عشرة أيام، وانتهت برفع أهل الشام المصاحف والاتفاق على التحكيم(٢).

اختيار أبي موسى للتحكيم

اختار أهل الشام ومعاوية عمرو بن العاص ممثلاً عنهم في مجلس التحكيم، بينما اختار أهل العراق وعلي أبا موسى الأشعري ممثلاً عنهم في التحكيم، وذكر الذهبي في سِيَر أعلام النبلاء روايةً تدل على أن علي بن أبي طالب كان غير راضٍ عن تكليف أبي موسى في التحكيم، نقلها عن ابن سعد في الطبقات، وهي كما يأتي:

---

(١) انظر تفصيل الموضوع في كتاب: عائشة أم المؤمنين وعالمة نساء الإسلام للمؤلف.

(٢) انظر تفصيل الموضوع في كتاب عبدالله بن عباس الإمام البحر عالم العصر للمؤلف.

قال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عمر ـ الواقدي ـ حدثنا عيسى بن علقمة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس: قلتُ لعلي يوم الحكمين لا تُحكِّم الأشعريَّ فإن معه رجلًا حذِراً مَرِساً قارحاً[1]، فلزّني إلى جنبه[2]، فلا يحل عقدة إلا عقدتها، ولا يعقد عقدة إلا حللتها. قال: يا ابن عباس ما أصنع؟ إنما أوتىٰ من أصحابي، قد ضَعُفَتْ نياتُهم وكلّوا، هذا الأشعث يقول: لا يكون فيها مُضريان أبداً، حتى يكون أحدهما يمان. قال ابن عباس: فعذرته وعرفت أنه مضطهد[3]. ومع أن الرواية ضعيفة لضعف محمد بن عمر الواقدي، فقد تلقفها رواة الأخبار وزادوا فيها زيادات منكرة، وهي كما في تاريخ الطبري:

قال علي للأشعث بن قيس بعد رفع أهل الشام المصاحف: ائته ـ أي معاوية ـ إن شئت فسَلْه، فأتاه فقال: يا معاوية لأي شيء رفعتم المصاحف؟ فقال: لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله عزّ وجلّ في كتابه، تبعثون منكم رجلاً ترضون به، ونبعث منا رجلاً، ثم نأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله، لا يعدوانه، ثم نتبع ما اتفقا عليه، فقال له الأشعث بن قيس: هذا الحق.

---

(١) المرسُ والقارح: المجرِّبُ.

(٢) أي ألزمني إياه، وعنى ابن عباس بهذه الأوصاف عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٣) النبلاء ٢/٣٩٥.

فانصرف إلى علي فأخبره بالذي قال معاوية، فقال الناس: قد رضينا وقبلنا، فقال أهل الشام: فإنا قد اخترنا عمرو بن العاص، فقال الأشعث وأولئك الذين صاروا خوارج بعد[1]: فإنا قد رضينا بأبي موسى الأشعري، قال علي: فإنكم قد عصيتموني أول الأمر فلا تعصوني الآن إني لا أرى أن أولي أبا موسى، فقال الأشعث وزيد بن حصين الطائي ومسعر بن فدكي: لا نرضى إلا به، فإن ما كان يحذرنا منه وقعنا فيه، قال علي: فإنه ليس لي بثقة، قد فارقني وخذّل الناس عني، ثم هرب مني حتى آمنته بعد شهر، ولكن هذا ابن عباس نولّه ذلك، قالوا: ما نبالي أنت كنت أم ابن عباس، لا نريد إلا رجلاً هو منك ومن معاوية على سواء، ليس إلى واحد منكما بأدنى منه إلى الآخر[2].

علي وأبو موسى رضي الله عنهما

والافتراءات في هذه الرواية واضحة، فأبو موسى رضي الله عنه لم يرتكب أي إثم أو جرم يستدعي فراره من علي رضي الله عنه، كان فقط يخالف علياً في الرأي كما كان كثير من الصحابة يخالفونه في الرأي، ولم يفر أحد منهم من

---

(١) أي الذين خرجوا على علي بعد ذلك.

(٢) تاريخ الطبري ٥/ ٥١.

علي، ولم يستأمنوا علياً أو معاوية، ولم يجبرهم أحد على أن يغيِّروا رأيهم ويخرجوا من عزلتهم.

يمكن أن يكـون علي رضي الله عنه قد كره أن يتولى أبو موسى التحكيم، وهذا من حقه، لأنه يعلم مخالفة أبي موسى له في الرأي، وكراهة علي لتحكيم أبي موسى لا تعني أنه يكره أبا موسى رضي الله عنهما، فمثل علي لا يجهل فضل أبي موسى وسابقته وجهاده وعلمه، ولقد قال عنه عندما سئل عنه: صُبغ في العلم صبْغةً[1].

فعلي أكرم وأسمى من أن يحقد على أبي موسى لأنه خالفه في الرأي، ومواقفه الكريمة المتسامحة من الذين خالفوا رأيه وخرجوا عليه مشهورة معروفة، وخاصة موقفه الكريم بعد موقعة الجمل من السيدة عائشة رضي الله عنها، وحزنه على مقتل طلحة والزبير، وصلاته على القتلى من الفـريقين، وقوله: إني لأرجو ألا يكون أحد نقي قلبه إلا أدخله الله الجنة[2].

ولما قتل طلحة رضي الله عنه يوم معركة الجمل لحق ولده عمران بمعاوية، فقال له معاوية: ارجع إلى علي رضي الله عنه فإنه يرد عليك مالك، فرجع عمران فأتى الكوفة، فدخل

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢/٣٨٨.

(٢) انظر عائشة أم المؤمنين وعالمة نساء الإسلام.

على علي رضي الله عنه، فقال له علي: مرحباً يا ابن أخي، إني لم أقبض مالكم لآخذه، ولكني خفت عليه من السفهاء، انطلق إلى عمك قرظة بن كعب بن عميرة، فَمُرْه فليردَّ عليك ما أخذنا من غَلَّة أرضكم، أما والله إني لأرجو أن أكون أنا وأبوك من الذين ذكرهم الله في كتابه، وتلا الآية: ﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غِل إخواناً على سُرر متقابلين ﴾ فقال الحارث الأعور: لا والله، اللهُ أعدل أن يجمعنا وإياهم في الجنة، قال: فمن ذا يا أعور؟ أنا وأبوك[1].

فرجل له هذا الخلق الكريم، لا يعقل أبداً أن يحقد على رجل لأنه يختلف معه في الرأي، وأي رجل، رجل مثل أبي موسى الأشعري في سابقته وجهاده. وقد نقل الذهبي عن ابن عساكر رواية تدل على أن علياً كان راضياً كل الرضا عن تحكيم أبي موسى رضي الله عنهما، وهي:

قال أبو صالح السمان: قال علي: يا أبا موسى احكم ولو على حَزِّ عنقي[2].

ولا يعقل أن يرضى أبو موسى بأن يكون حكماً مرسلاً من قبل علي إذا كان يعلم أن علياً كاره لتحكيمه، فمن الأمور البديهية أن يكون الحكم مرضياً عنه من جميع الأطراف،

---

(١) رواه ابن عساكر، والبيهقي في السنن. انظر جامع الأحاديث ٤/٣١٤.
(٢) النبلاء ٤/٣٩٥.

وخاصة الجانب الذي يمثله، ومثل أبي موسى الذي تمرّس بالقضاء لسنوات كثيرة، وتعهده عمر بن الخطاب بإرشاداته ووصاياه التي سبق الحديث عنها، لا يجهل هذه الحقيقة ولا يغفل عنها.

التحكيـــم

أكثر المؤرخين والكتاب الذين كتبوا عن التحكيم وما جرى فيه، تأثروا بالروايات التي ذكرها الطبري في تاريخه واقتبسوا منها، فهو أقدم المصادر التاريخية، ولهذا رجعت إلى ما ذكره الطبري في تاريخه فوجدته يذكر روايتين في وصف التحكيم وما حدث فيه، الرواية الأولى ذكرها بالسند عن الزهري قال:

فلما اجتمع الحكمان وتكلما، قال عمرو بن العاص: يا أبا موسى رأيت أول ما تقضي به من الحق أن تقضي لأهل الوفاء بوفائهم وعلى أهل الغدر بغدرهم. قال أبو موسى: وما ذاك؟ قال: ألست تعلم أن معاوية وأهل الشام قد وَفَوا وقدموا للموعد الذي واعدناهم إياه؟ قال: بلى، قال عمرو: اكتبها، فكتبها أبو موسى، قال عمرو: يا أبا موسى أأنت على أن تسمي رجلاً يلي أمر هذه الأمة؟ فسمّه لي، فإن أقدر على أن أتابعك فلك عليَّ أن أتابعك، وإلا فلي عليك أن تتابعني، قال أبو موسى: أُسمي لك عبدالله بن عمر، وكان ابن عمر فيمن اعتزل، قال عمرو: إني أسمي لك معاوية بن أبي سفيان. فلم يبرحا مجلسهما حتى استبا ثم خرجا إلى الناس، فقال أبو موسى: إني وجدت مثل عمرو مثل الذي قال الله عزّ

وجلّ: ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ﴾[1] فلما سكت أبو موسى تكلم عمرو فقال: أيها الناس وجدت مثل أبي موسى كمثل الذي قال عزّ وجلّ: ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً ﴾[2] وكتب كل منهما مثله الذي ضربه لصاحبه إلى الأمصار[3].

وكل ما في هذه الرواية أن الحكمين فشلا ولم يتفقا بسبب الاختلاف الكبير بينهما في الرأي.

وأما الرواية الثانية فهي رواية أبي مِخْنف[4]: . . . . والتقى الحكمان، فقال عمرو بن العاص: يا أبا موسى ألست تعلم أن عثمان رضي الله عنه قتل مظلوماً؟ قال: أشهد، قال: ألست تعلم أن معاوية وآل معاوية أولياؤه؟ قال: بلى، قال: فإن الله عزّ وجلّ قال: ﴿ ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً ﴾[5] فما يمنعك من معاوية وليّ عثمان يا أبا موسى، وبيته في قريش كما قد علمت؟ فإن تخوفت أن يقول الناس: ولى معاوية وليست له سابقة، فإن

---

(١) الأعراف: الآية ١٧٥.

(٢) الجمعة: الآية ٥.

(٣) الطبري ٥/٥٨.

(٤) واسمه لوط بن يحيى، تكلم عليه الذهبي في المغني فقال: ساقط، تركه أبو حاتم وقال الدارقطني: ضعيف. المغني في الضعفاء ٢/١٣٥.

(٥) الإسراء: الآية ٣٣.

لك بذلك حجة، تقول: إني وجدته وليّ عثمان الخليفة المظلوم والطالب بدمه الحسن السياسة، الحسن التدبير، وهو أخو أم حبيبة زوجة النبي ﷺ، وقد صحبه فهو أحد أصحابه.

ثم عرّض بالسلطان فقال: إن ولي أكرمك كرامة لم يكرمها خليفه. فقال أبو موسى: يا عمرو، اتق الله عزّ وجلّ، فأما ما ذكرت من شرف معاوية، فإن هذا ليس على الشرف يولاه أهلُه، ولو كان على الشرف لكان هذا الأمر لآل أبرهَة ابن الصباح، إنما هو لأهل الدين والفضل، مع أني لو كنت معطيه أفضلَ قريش شرفاً أعطيته عليٍ بن أبي طالب، وأما قولك: إن معاوية وليّ دم عثمان فولّه هذا الأمر، فإني لم أكن لأولِّيه معاوية وأدعَ المهاجرين الأولين، وأما تعريضك لي بالسلطان، فوالله لو خرج لي من سلطانه كلِّه ما وليته، وما كنت لأرتشي في حكم الله عزّ وجلّ، ولكنك إن شئت أحيينا اسم عمر بن الخطاب....

فقال له عمرو: إن كنت تحب بيعة ابن عمر، فما يمنعك من ابني، وأنت تعرف فضله وصلاحه. فقال: إن ابنك رجل صِدْق ولكن قد غمسته في هذه الفتنة....

فقال له عمرو: خبِّرني ما رأيك؟ قال: رأيي أن نخلع هذين الرجلين ونجعل الأمر شورى بين المسلمين، فيختار المسلمون لأنفسهم من أحبوا، فقال له عمرو: فإن الرأي ما رأيت.

فأقبلا إلى الناس وهم مجتمعون، فقال: يا أبا موسى أعلمهم بأن رأينا قد اجتمع واتفق، فتكلم أبو موسى، فقال: إن رأيـي ورأي عمرو قد اتفق على أمر نرجو أن يصلح الله به أمر هذه الأمة، فقال عمرو: صدق وبرَّ، يا أبا موسى تقدم فتكلم، فتقدم أبو موسى ليتكلم، فقال له ابن عباس: ويحك والله إني لأظنه قد خدعك، إن كنتما قد اتفقتما على أمر، فقدمه فَلْيتكلم بذلك الأمر قبلك ثم تكلم أنت بعده، فإن عمْراً رجل غادر، ولا آمن من أن يكون أعطاك الرضا فيما بينك وبينه، فإذا قمت في الناس خالفك ـ وكان أبو موسى مغفَّلاً ـ فقال له: إنا قد اتفقنا.

فتقدم أبو موسى فحمد الله عزّ وجلّ وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نرَ أصلح لأمرها، ولا ألمَّ لشعَثها من أمر قد أجمع رأيـي ورأي عمرو عليه وهو أن نخلع علياً ومعاوية، وتستقبل هذه الأمة هذا الأمر فيولوا منهم من أحبوا عليهم، وإني قد خلعت علياً ومعاوية، فاستقبلوا أمركم، وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً.

ثم تنحى، وأقبل عمرو بن العاص، فقام مقامه، فحمد الله وأثنى عليه وقال: إن هذا قد قـال ما سمعتم وخلع صاحبه، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه وأثبت صاحبي معاوية، فإنه وليّ عثمان والطالب بدمه وأحق الناس بمقامه، فقال أبو

موسى: مالك لا وفقك الله غدرت وفجرت، إنما مثلك كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث[1].

تمحيص وتحقيق

والمتأمل لهاتين الروايتين لا بدَّ أن يكتشف أن الرواية الأولى أقرب للصحة والتصديق من الثانية سنداً ومتناً، إذ هي خالية من التناقض. وأما الرواية الثانية فهي رواية أبي مخنف الذي ضعفه المحدثون، وهي في نفسها متناقضة من عدة وجوه:

١ ـ وصفت أبا موسى بالغفلة، بينما بدا أبو موسى من خلال محاورته مع عمرو في غاية الفطانة والذكاء مع التقوى والورع، فقد نقض كل الحجج التي تمسك بها عمرو في تقديم معاوية، وبيَّن أن علياً رضي الله عنه أحق منه بالخلافة وأولى.

٢ ـ وصفت عمرو بن العاص بالدهاء والمكر، ولكن الخديعة التي نسبتها إليه خدعة ساذجة مكشوفة، لا تفيد شيئاً ولا تقدِّم ولا تؤخر، ولا يعقل أن تصدر عن مثل عمرو في دهائه وذكائه، فهل يصدق عاقل أن عمراً بهذه الخدعة المكشوفة يستطيع خلع علي من الخلافة وتثبيت معاوية فيها؟

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٧٠ باختصار.

ثم أما كان يتصور أن أبا موسى سيسارع إلى تكذيبه ورفض خدعته، وكشف كذبها، وقد سبق في أثناء حواره معه أن عرض عليه أن يولّي ولـده فرفض أبو موسى، وقال له بحزم: إن ابنك رجل صدق ولكنك غمسته في الفتنة، فقد أجبره عمرو على الحضور إلى صِفّين في جيش معاوية.

وهل مثـل عمرو في مكانته وشرفه يرضى أن يظهر أمام النـاس بمظهـر المخادع المحتـال من أجل تقـوية مـركز معاوية؟!!

والله إني لأعجب كيف تناقل المؤرخون أمثال هذه الأقوال المتهافتة المتناقضة، ورحم الله أبا بكر ابن العربي، الذي قال بعد ذكر رواية التحكيم هذه: هذا كله كذب صراح، ما جرى منه حرف قط، وإنما هو شيء أخبر عنه المبتدعة، ووضعته التاريخية للملوك، فتوارثه أهل المجانة والجهارة بمعاصي الله والبدع[1].

٣ ـ ذكرت الرواية أن ابن عباس حذر أبا موسى من مكر عمرو بكلمات تدل على أن ابن عباس ما كان يحترم أبا موسى رضي الله عنهما، مع أن المشهور عن ابن عباس والمدوَّن عنه شدة احترامه لكبار أصحاب النبي ﷺ وخاصة لشيوخه الذين روى عنهم، وقد روى عن أبي موسى، وكان

(١) العواصم من القواصم ص ١٧٧.

أبو موسى يكتب إلى ابن عباس عندما كان في البصرة. وفي مسند أحمد أن ابن عباس قدم البصرة فكتب إلى أبي موسى فكتب إليه أبو موسى[1]، قال ابن حجر رحمه الله: المعروف عن ابن عباس التأدب مع من يأخذ عنه[2] فأبو موسى يُعَدُّ من شيوخ ابن عباس، وفضلاً عن ذلك فأبو موسى زوج أخت ابن عباس، دلَّ على ذلك قول أبي بردة بن أبي موسى في حديث له: دخلت على أبي موسى في بيت ابنة أم الفضل[3]. . . . وأم الفضل زوجة العباس رضي الله عنهما.

كل ذلك يجعلنا نرفض هذه الرواية كما رفضها وردها ابن العربي رحمه الله ونقول كما قال الإمام الذهبي رحمه الله: ولا ريب أن غلاة الشيعة يُبغضون أبا موسى رضي الله عنه لكونه ما قاتل مع علي، ثم لما حكَّمه علي على نفسه عزله وعزل معاوية، وأشار بابن عمر، فما انتظم من ذلك حال[4].

من الحاقد والمغفل؟

مضى على حادثة التحكيم أربعة عشر قرناً تقريباً، وقال العلماء فيها ما قالوا، ولا زال أبو موسى الأشعري رضي الله

---

(١) المسند ٤/٣٩٦.

(٢) فتح الباري ١/١٦٩ وانظر تفصيل الموضوع في كتاب: عبدالله بن عباس الإمام الحبر عالم العصر للمؤلف.

(٣) المسند ٤/٤١٢ وسيأتي الحديث كاملاً.

(٤) النبلاء ٢/٣٩٤.

عنه، يتعرض للحملات الظالمة الأفاكة الفاجرة دون مراعاة لصحبته للنبي ﷺ وسابقته وجهاده. نشرت دار الكتاب العربي البيروتية كتاب الكامل لابن الأثير، وكتب الناشر على الغلاف الجملة التالية: عني بمراجعة أصوله والتعليق عليه نخبة من العلماء.

ولم يذكر أسماء هؤلاء النخبة من العلماء، لكنه في المقدمة قال: كلفتُ صاحب الفضيلة الشيخ عبد الوهاب النجار أستاذ التاريخ في قسم التخصص بالأزهر.... وأن يجود عليه برأيه الثاقب، وبيان ملاحظاته على ما في الكتاب، مما يستحق النقد، أو خلاف الصواب، فوعد بأن يتكرم بذلك[1]. وفي حاشية ١٦٩/٣ علق كاتب على ما ذكره ابن الأثير في رواية أبي مخنف لحادثة التحكيم، فقال:

وأقول: إن هذه النتيجة السيئة لازمة لحكمين قد حكما بكتاب لم تبين فيه المعالم التي ينتهيان إليها، ولا الحدود التي ليس لهما أن يتجاوزاها، بل الكتاب كله مفكك العرى، غير ظاهر الحدود والمعالم، وأحد الحكمين رجل فيه غفلة وعدم تقدير للأمور، وهو حاقد على علي منذ عزله عن الإمرة، فخذَّل عنه من قبل ذلك، وقد قعد عن نصرته، ورآه سائراً في فتنة، أرَّثت النار بين المسلمين، فهو لأمر علي

(١) انظر مقدمة الناشر لتاريخ ابن الأثير ط ٢: ١٣٨٧ = ١٩٦٧.

كاره، ومن خلافته نافر، فما كان لأصحاب علي أن يشيروا باختياره لهذا الأمر الذي هو فوق إدراكه، ولا قدرة له على حمله، وكان خير لعلي أن يجعل أمره بيد خصمه معاوية من أن يجعله في يد رجل لا يقدِّر الأمور، فما كان حكم معاوية إذا جار على علي بأكثر ضرراً ولا أشد بلاءً من حكم أبي موسى، وهل يوجد أكثر غفلة من رجل يريد ابن عمر للخلافة مع أن عمر منعه إياها، ولم يكن بينهما كتاب على ما اتفقا عليه جَوْراً كان أو عدلاً، وهل كان عزل علي في كتاب الله الذي أخذ عليهما العهد أن يعملا به[1].

والمقولة كما يراها القارىء، أكثرها سباب وشتائم ليس فيها شيء مما سماه الناشر نقداً، ولن أرد على ما ذكره كاتب هذه الكلمات من سب وشتم لهذا الصحابي العالم المجاهد، فالله سبحانه هو الذي يدافع عن المؤمنين عموماً، وأصحاب رسول الله ﷺ خصوصاً، أو يتولى أمثاله الذين لم يفهموا مراده سبحانه في قوله الكريم: ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ﴾[2] فهل اتبع كاتب هذه الكلمات الصحابة بإحسان، أم اتبعهم بالسباب والشتائم؟! وهل استغفر لهم كما قال تعالى: ﴿ والذين جاءوا من بعدهم

---

(١) هامش الكامل ٣/١٦٩ ط. ٢ نشر دار الكتاب العربي.

(٢) التوبة: الآية ١٠٠.

يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾[1]؟

ولكن سأناقش الكاتب في النقاط التي أخذها على أبي موسى بزعمه، والتي يمكن حصرها في الآتي:

١ ـ اتهم الكاتب أبا موسى بالغفلة وعدم تقديره للأمور، وهي تهمة روَّجها أصحاب الأهواء والنزعات المنحرفة قديماً، وقد سبق أن بينت بطلانها، فأبو موسى الذي أرسله النبي ﷺ إلى اليمن وأقره أبو بكر، وولاه عمر على البصرة، ونجح في ولايته عليها نجاحاً كبيراً، والذي قهر أعظم قادة الدولة الفارسية دهاءً ومكراً وأرسله إلى المدينة مقيداً بالحديد، وفتح أمنع المعاقل والحصون، لا يمكن أن يكون مغفلاً كما زعم الكاتب، ولو أنه تأمل الحوار الذي دار بين أبي موسى وبين عمرو بن العاص الذي نقلته روايات المؤرخين، لما وصفه بصفة الغفلة وعدم تقدير الأمور، ومن غفل عن كل هذه الحقائق أولى بأن يوصف بالغفلة.

٢ ـ اتهم الكاتب أبا موسى بأنه كان حاقداً على علي رضي الله عنهما، ولا دليل له على هذه التهمة، وعَزْلُ علي له عن ولاية الكوفة ما جعل أبا موسى يحقد على علي، لأنه

---

(١) الحشر: الآية ١٠.

رضي الله عنه ما كان حريصاً على الإمْرة والمنصب، كما ظهر لنا من سلوكه في عهد النبي ﷺ، فالإمارة في نظر أبي موسى مسؤولية خطيرة، ورحم الله الذهبي عندما قال: لقد كان أبو موسى صوّاماً قوّاماً ربّانياً زاهداً عابداً، ممن جمع العلم والعمل والجهاد وسلامة الصدر، لم تغيّره الإمارة ولا اغتر بالدنيا[١].

ولا يعرف الفضل لأهله إلا ذووه، لقد ظل أبو موسى يعرف لعلي رضي الله عنهما مكانته وشرفه وفضله، وكان يصلي وراءه ويثني عليه ويقول: لقد صلَّى بنا علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه صلاة، ذكّرنا بها صلاة كنا نصليها مع رسول الله ﷺ، فإما أن نكون نسيناها وإما أن نكون تركناها[٢]. وكيف يحقد أبو موسى على علي رضي الله عنه الذي قال فيه النبي ﷺ كما في الحديث عن علي: (والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي ﷺ إليَّ أن لا يحبَّني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق)[٣]؟

ومما يؤكد أن أبا موسى كان على علاقة طيبة مع علي رضي الله عنهما، وينفي مزاعم الكاتب، أنه لما مرض

---

(١) النبلاء ٢/٣٩٦.

(٢) انظر الحديث في المسند ٤/٤١٥.

(٣) رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن أبي شيبة وابن ماجه، كما في جامع الأحاديث ٤/٣٨٥.

الحسن بن علي رضي الله عنهما، عاده أبو موسى ودخل علي، فرأى أبا موسى، فرحب به وقال له: أعائداً يا أبا موسى جئت أم زائراً؟ فقال: يا أمير المؤمنين عائداً، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم يعود مسلماً غُدوةً إلا صلَّى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن عاد عشيَّةً إلا صلَّى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح، وكان له خريف في الجنة»[1].

واعتزال أبي موسى رأي أدَّاه إليه اجتهاده، فعله أكثر الصحابة رضي الله عنهم، وما أُثر أن علياً حقد عليهم، أو توجّه إليهم بأدنى كلمة عتاب ولوم، لأنه رضي الله عنه يعلم أن المجتهد مأجور على اجتهاده إن أصاب أو أخطأ، وقد بينت فيما سبق أن مثل علي في أخلاقه العالية الكريمة لا يحقد على رجل لأنه خالفه في الرأي، وكذلك الحال بالنسبة لأبي موسى في أخلاقه الكريمة العالية.

٣ ـ احتج الكاتب على شدة غفلة أبي موسى كما زعم، بأن أبا موسى غفل عن أن عمر بن الخطاب منع الخلافة عن ولده عبدالله، فقال متسائلاً: وهل يوجد أكثر غفلة من رجل يريد ابن عمر للخلافة مع أن عمر منعه إياها؟.

---

(١) رواه الترمذي وقال حسن غريب، ورواه أبو داود موقوفاً ثم رواه مسنداً مرفوعاً ورواه أحمد وابن ماجه والحاكم وابن حبان.
والخريف: الثمر الذي يُجتنى، انظر الترغيب والترهيب ٤/ ٣٢٠.

وأقول: لم يكن أبو موسى مغفلاً كما زعم الكاتب، والأكثر غفلة الذي غفل عن الحقيقة الناصعة الواضحة وهي أن منْع عمر الخلافة عن ولده عبدالله ليس أمراً ملزماً لمن يأتي بعده من أجيال المسلمين، فمنْعُه ليس تشريعاً مستمداً من الكتاب والسنة، إنما الذي حمله على ذلك ورعه وخوفه أن يصبح أمر الخلافة ملكاً متوارثاً، فيكون قد ابتدع بدعة سيئة في نظام الخلافة الإسلامي القائم على الشورى، تُرى من المغفَّل إذن؟!!.

لقد كان أبو موسى رضي الله عنه على درجة عالية من الذكاء والنباهة، وتفهم أوضاع المسلمين في ذلك العصر عندما رشح عبدالله بن عمر للخلافة، فقد كان يشبه أباه عمر في ورعه وبعد نظره وعلمه وفضله وصلابته في دينه، وكانت الأمة مستعدة للالتفاف حوله والاجتماع على بيعته، وليت الأمر تم كما أراد أبو موسى رضي الله عنه، الذي أراد أن يرد الأمة إلى ما كانت عليه في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فهل كان أبو موسى مغفلاً لأنه أراد ذلك للمسلمين، أم أنه كان مخلصاً لدينه وأمته متجرداً عن أي هوى؟ رضي الله عنك يا أبا موسى ما أكثر ما لقيت بسبب إخلاصك وتجردك وثباتك على رأيك وعقيدتك.

في عهد معاوية

بقي أبو موسى متمسكاً برأيه وموقفه من الاعتزال، وبعد أن قتل علي رضي الله عنه شهيداً وبايع أهل العراق ولده الحسن رضي الله عنه، رأى الحسن أن يحقن دماء المسلمين، ويصلح ما بين المسلمين ويجمعهم على رجل واحد، فتنازل رضي الله عنه لمعاوية عن الخلافة، واجتمعت الأمة عليه، وعادت لها وحدتها وألفتها، وسمي العام بعام الجماعة، وظهر بهذا علم من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام، فقد جاء في الحديث الشريف عن أبي بكْرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ على المنبر، والحسن إلى جنبه، ينظر إلى الناس مرة وإليه مرةً، ويقول: «ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»[1].

وانضم أبو موس إلى رأي الجماعة فبايع معاوية رضي الله عنهما، ويبدو أن معاوية حاول قبل ذلك أن يخرج أبا موسى عن عزلته وأن يضمه إلى جانبه فلم يفلح، دل على ذلك ما

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الفضائل رقم ٣٧٤٦.

أخرجه ابن سعد في الطبقات عن أبي موسى قال: كتب إليَّ معاوية يقسم بالله إن بايعته لأبعثنَّ ابنيك، أحدهما على البصرة، والآخر على الكوفة، ولا يغلق دونك باب، ولا تقضى دونك حاجة. فرد عليه: أما بعد: فإنك كتبت إليَّ في جسيم أمر أمة محمد ﷺ، ولا حاجة لي فيما عرضت عليّ. فلما ولّي أتيته فلم يغلق دوني باب، ولم تكن لي حاجة إلا قُضيت[1].

ورواه الذهبي في النبلاء بزيادة: فماذا أقول لربي إذا قدمت عليه، ليس لي فيما عرضت من حاجة[2].

وتدل هذه الرواية على صلابة أبي موسى في دينه وخوفه العظيم من ربه، كما تدل على أن معاوية لم يحقد على أبي موسى بسبب مخالفته له، وأنه عرف لأبي موسى مكانته وفضله فأكرمه وقضى له حوائجه عندما قدم على معاوية في بلاد الشام بعد أن بويع بالخلافة، وقد خرج معاوية في الليل ليستمع إلى أبي موسى وهو يقرأ القرآن، روى الذهبي بسنده إلى أبي يوسف حاجب معاوية أن أبا موسى الأشعري قدم على معاوية فنزل في بعض الدور بدمشق، فخرج معاوية من الليل ليستمع قراءته[3]. وأوصى معاوية ولده يزيد بأبي بردة

---

(1) الطبقات ٢/١١٢.

(2) النبلاء ٢/٣٩٦، وقال محقق ومخرج أحاديثه بعد أن ذكر سند ابن سعد في الطبقات: وهذا سند صحيح.

(3) النبلاء ٢/٣٨٢.

ولد أبي موسى الذي تحدث عن ذلك فقال: دخلتُ على معاوية حين أصابته قرحتُه، فقال: هلمَّ يا ابن أخي... فقلتُ: ليس عليك بأس، إذ دخل ابنه يـزيد، فقـال له معاوية: إن وليتَ فاستـوصِ بهذا، فإن أباه كان أخاً لي ـ أو خليلاً ـ غير أني رأيت في القتال ما لم يرَ[1].

---

(١) المرجع نفسه، ورجاله ثقات ٢/٤٠١.

وفاته رضي الله عنه

اختلف العلماء في تاريخ وفاة أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وأكثر أقوالهم لا تتعدى الأربعينيات من الهجرة، قال ابن الأثير: مات بالكوفة وقيل بمكة سنة اثنين وأربعين وقيل أربع وأربعين، وهو ابن ثلاث وستين، وقيل مات سنة تسع وأربعين، وقيل خمسين، وقيل اثنين وخمسين، وقيل ثلاث وخمسين[1].

وأما ابن سعد في الطبقات فذكر أنه توفي سنة اثنين وخمسين، ونقل عن بعض أهل العلم أنه توفي سنة اثنين وأربعين[2].

وذكر ابن كثير وفاته في سنة اثنين وخمسين وقال: ذكر ابن الجوزي في المنتظم أنه توفي في هذه السنة، وهو قول بعضهم، وقيل إنه توفي قبلها بسنة، وقيل في سنة ثنتين وأربعين، وقيل غير ذلك والله أعلم، وكانت وفاته بمكة لما

---

(١) أسد الغابة ٥/٢٤٦.

(٢) الطبقات ٤/١١٥.

اعتزل الناس بعد التحكيم، وقيل بمكان يقال له الثوبة على ميلين من الكوفة[1].

لكن الذهبي صحح وفاته في سنة أربع وأربعين فقال: مات في ذي الحجة سنة أربع وأربعين على الصحيح[2].

وكان رضي الله عنه رجلاً قصيراً، أثطَّ، خفيف اللحم[3].

وعندما شعر رضي الله عنه بدنو أجله دعا أهله وأولاده وأوصاهم قائلاً: انظروا إذا أنا متُّ، فلا تُؤْذُنُنَّ بي أحداً، ولا يتبعني صوت ولا نار[4].

ولعل مراده رضي الله عنه من قوله: (فلا تؤذنن بي أحداً) الإعلام المبالغ فيه، قال ابن حجر رحمه الله: محض الإعلام بذلك لا يكره، فإن زاد على ذلك فلا، وقد كان بعض السلف يشدِّدُ في ذلك... قال ابن العربي: يؤخذ من مجموع الأحاديث ثلاث حالات: الأولى: إعلام الأهل والأصحاب وأهل الصلاح فهذا سنة، الثانية: دعوة الحفل للمفاخرة فهذه تكره، الثالثة: الإعلام بنوع آخر كالنياحة ونحو ذلك، فهذا يحرم[5].

---

(١) البداية والنهاية ٨/٦٠.
(٢) تذكرة الحفاظ ١/٢٨.
(٣) النبلاء ٢/٣٩٩ ومعنى أثط: خفيف شعر اللحية.
(٤) الطبقات ٤/١١٥.
(٥) فتح الباري ٣/١١٧.

وهذا يدل على تواضع أبي موسى وحرصه وهو في سياقة الموت على السنة، ففي المسند عن أبي بُرْدة قال: أوصى أبو موسى حين حضره الموت فقال: إذا انطلقتم بجنازتي فأسرعوا المشي، ولا يتبعني مَجْمر[1]، ولا تجعلوا في لحدي شيئاً يحول بيني وبين التراب، ولا تجعلوا على قبري بناءً، وأشهدكم أني بريء من كل حالقة، أو سالقة أو خارقة، قالوا: أو سمعت فيه شيئاً؟ قال نعم من رسول الله ﷺ[2].

والحالقة التي تحلق شعرها، والسالقة التي ترفع صوتها، وفي رواية: الصالقة، والخارقة التي تشق ثيابها وتمزقها.

ويبدو أنه كرر كلماته هذه مرات وهو يُحتضر، فكلما اشتدت عليه سكرات الموت وخنقته وارتفعت أصوات الباكيات حوله، استيقظ من غشيته ليعلن بصوته الواهن الضعيف براءته ممن تفعل ذلك. وقد بوَّب الإمام البخاري لحديث أبي موسى هذا عند موته فقال: باب ما ينهى عن الحلق عند المصيبة، ثم روى بسنده إلى أبي بردة قال:

وَجِعَ أبو موسى وجَعاً فغُشي عليه، ورأسُه في حِجْر امرأة من أهله، فلم يستطع أن يردَّ عليها شيئاً، فلما أفاق قال: أنا

---

(١) إناء لوضع جمر النار وحرق البخور.
(٢) المسند ٣/١٦٥.

بريءٌ ممَّن برىء منه رسول الله ﷺ، إن رسول الله ﷺ برىء من الصالقة والحالقة والشّاقة[1].

ولما اشتدت عليه سكرات الموت، دعا فتيانه وقال: اذهبوا واحفروا وأوسعوا وأعمقوا، فجاءوا فقالوا: قد حفرنا وأوسعنا وأعمقنا، فقال: والله إنها لإحدى المنزلتين، إما ليوسعنَّ عليَّ قبري حتى تكون كل زاوية منه أربعين ذراعاً، ثم ليفتحنَّ لي باب الجنة، فلأنظرن إلى أزواجي ومنازلي وما أعدَّ الله لي من الكرامة، ثم لأكونن أهدى إلى منزلي مني اليوم إلى بيتي، ثم ليصيبني من ريحها وروحها حتى أبعث. ولئن كانت الأخرى ـ ونعوذ بالله منها ـ ليضيِّقنَّ عليّ قبري حتى يكون في أضيق من القناة في الزّج، ثم ليفتحن لي باب من أبواب جهنم، فلأنظرنَّ إلى سلاسلي وأغلالي وقرنائي، ثم لأكونن إلى مقعدي من جهنم أهدى مني اليوم إلى بيتي، ثم ليصيبني من سمومها وحميمها حتى أبعث[2].

وهكذا مات أبو موسى الأشعري رضي الله عنه وهو يعظ أولاده وأهله ويوصيهم بالتزام سنة النبي ﷺ، وانقطع الصوت الشجي الندي الذي طالما ملأ آذان الناس وقلوبهم بكلمات التنزيل الحكيم نيفاً وأربعين سنة.

---

(١) صحيح البخاري في كتاب الجنائز رقم ١٢٩٦.
(٢) حلية الأولياء ١/٢٦٢.

الفصل الثالث

مناقبه وفضائله



دعوات مباركات وبشارة وشهادة من النبي ﷺ

لا شك أن إبراز مناقب وفضائل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه يرد كل التهم والافتراءات التي وجهت إليه رضي الله عنه.

وأبرز فضائله ومناقبه وأعلاها الدعوات الكريمات التي نالها من النبي ﷺ، والتي تدل على أنه عليه الصلاة والسلام كان راضياً عن أبي موسى الأشعري كل الرضا. وقد مرَّ معنا بعضها، ونوجزها في صدر مناقبه كما يأتي:

قال النبي ﷺ: «اللهم اغفر لعبدالله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً»[١].

ومرَّ معنا أنه نال مع صحابي آخر كانا يتفقدان النبي ﷺ في ليلة من الليالي دعوة منه ﷺ أن يجعلهما من أهل شفاعته يوم القيامة[٢].

---

(١) انظر الحديث كاملاً في صحيح البخاري كتاب المغازي ٤٣٣٣، وهو متفق عليه.

(٢) انظر الحديث في المسند ٤/٤١٥.

وقد علمه النبي ﷺ كنزاً من كنوز الجنة، فعن أبي موسى قال: كنا مع رسول الله في غزاة، فجعلنا لا نصعد شَرَفاً، ولا نعلو شَرَفاً، ولا نهبط في وادٍ إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير، قال: فدنا منا رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس اربَعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً، إنما تدعون سميعاً بصيراً. ثم قال: يا عبدالله بن قيس ألا أعلمك كلمة هي من كنوز الجنة: لا حول ولا قوة إلا بالله»(١).

ونال أبو موسى أيضاً دعوة لولده من النبي ﷺ، فعن أبي موسى قال: ولد لي غلام، فأتيت به رسول الله ﷺ فسمَّاه إبراهيم، وحنكه بتمرة، ودعا له بالبركة، ودفعه إليَّ(٢).

كما أن أبا موسى قبل بشارة النبي ﷺ مع بلال رضي الله عنه، وتشرف بالتبرك بماء مجَّ فيه ﷺ وغسل به يديه ووجهه:

عن أبي موسى قال: كنت عند النبي ﷺ، وهو نازل بالجِعْرانَة بين مكة والمدينة(٣)، ومعه بلال، فأتى النبيَّ ﷺ أعرابيٌّ فقال: ألا تنجز لي ما وعدتني؟ فقال له: «أبشر» فقال: قد أكثرت عليَّ من «أبشر» فأقبل على أبي موسى وبلال كهيئة الغضبان، فقال: «ردَّ البشرى فاقبلا أنتما» قالا: قبلنا، ثم دعا بقدح فيه ماء، فغسل يديه ووجهه فيه، ومجَّ

---

(١) متفق عليه واللفظ للبخاري في كتاب القدر ٦٦١٠.

(٢) جامع الأحاديث ٥/٥٠٣ والمسند ٤/٣٩٩.

(٣) الصواب أنها بين مكة والطائف.

فيه، ثم قال: «اشربا منه وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وأبشرا»، فأخذا القدحَ ففعلا، فنادت أم سلمة من وراء الستر: أن أفضلا لأمكما، فأفضلا منه طائفة[1].

قال ابـن حجر رحمه الله: فيه منقبة لأبي موسى ولبلال ولأم سلمة رضي الله عنهم[2].

وشهد له النبي ﷺ بأنه مؤمن منيب كما سيأتي معنا في حديث بريدة.

علمه رضي الله عنه

أما مناقبـه وفضائله الشخصيـة فكثيرة: أبـرزها العلم، والعبادة، والورع، والحياء، وعزة النفس وعفتها، والزهد في الدنيا، والثبات على المبدأ.

يعد أبو موسى رضي الله عنه من كبار علماء الصحابة وفقهائهم ومفتيهم، فقد ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ في الطبقة الأولى من الصحابة رضي الله عنهم، قال عنه: كان عالماً عاملاً صالحاً تالياً لكتاب الله، إليه المنتهى في حسن الصوت بالقرآن، روى علماً طيباً مباركاً، أقرأ أهل البصرة وأفقههم[3].

---

(١) متفق عليه واللفظ للبخاري في كتاب المغازي رقم ١٣٢٨.
(٢) فتح الباري ٨/٤٧.
(٣) تذكرة الحفاظ ١/٢٣.

ومر معنا أنه كان كثير الملازمة للنبي ﷺ، كما أنه تلقَّى من كبار الصحابة كعمر وعلي وأبي بن كعب وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهم.

قال الشعبي: يؤخذ العلم عن ستة: عمر، وعبدالله، وزيد، يشبه علمهم بعضه بعضاً، وكان علي وأبيّ وأبو موسى يشبه علمهم بعضه بعضاً، يقتبس بعضهم من بعض[1].

واستفاد أبو موسى على وجه الخصوص من عمر بن الخطاب كثيراً، وقد مرَّ معنا أن عمر كان يتعهده بالوصايا والكتب في أثناء ولايته الطويلة على البصرة، كما أن أبا موسى كان يرجع إلى عمر في كل ما يعرض له من القضايا، حتى عده الشعبي واحداً من أربعة قضاة، هم أشهر قضاة الأمة، فقال: قضاة الأمة: عمر، وعلي، وزيد ـ ابن ثابت ـ وأبو موسى[2].

وكان أبو موسى عندما يأتي المدينة المنورة يحرص على مجالس عمر رضي الله عنهما، وربما أمضى جزءاً كبيراً معه. أخرج عبد الرزاق وابن أبي شيبة عن أبي بكر بن أبي موسى أن أبا موسى رضي الله عنه أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد العشاء، فقال له عمر: ما جاء بك؟ قال: جئت أتحدث إليك، قال: هذه الساعة، قال: إنه فقه، فجلس

---

(١) (٢) النبلاء ٢/ ٣٨٩.

عمر فتحدثا طويلاً، ثم إن أبا موسى قال: الصلاة يا أمير المؤمنين، قال: إنا في صلاة[1].

واستفاد أيضاً من مخالطته لعبدالله بن مسعود رضي الله عنهما، ومر معنا وصف أبي موسى لكثرة دخول ابن مسعود على النبي ﷺ، وأنه عندما سكن الكوفة كان يجالس ابن مسعود كثيراً ويتذاكر معه حديث النبي ﷺ[2].

الحض على التعلم والتعليم

وكما كان أبو موسى حريصاً على طلب العلم والتعلم، كان أيضاً حريصاً على نشر العلم وتعليم الناس وتفقيههم، فقد كان النبي ﷺ يحض أصحابه على التعلم والتعليم، والتفقه والتفقيه، وأوصى الأشعريين بذلك على وجه الخصوص، أخرج ابن راهَوْيه والبخاري في الوحدان والطبراني وغيرهم عن أبزى الخزاعي رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ ذات يوم، فأثنى علىٍ طوائف من المسلمين خيراً، ثم قال: «ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم، ولا يعلّمونهم، ولا يفطّنونهم، ولا يأمرونهم ولا ينهونهم؟ وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم، ولا يتفقهون ولا يتفطنون؟ والله ليعلمنَّ قوم جيرانهم ويفطّنونهم ويفقّهونهم، ويأمرونهم

---

(١) حياة الصحابة ٣/٢٠٥.

(٢) انظر المسند ٤/٣٩٢.

وينهونهم، وليتعلمنَّ قوم من جيرانهم ويتفطَّنون ويتفقَّهون، أو لأعاجلنَّهم بالعقوبة في دار الدنيا» ثم نزل فدخل بيته.

فقال قوم: من تراه عنى بهؤلاء؟ فقالوا: نراه عنى الأشعريين، هم قوم فقهاء، ولهم جيران جُفاة من المياه والأعراب، فبلغ ذلك الأشعريين، فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله ذكرت قوماً بخير وذكرتنا بشر فما بالنا؟ فقال: «ليعلمنَّ قوم جيرانهم، وليفقّهنهم، وليفطّننَّهم وليأمرنَّهم ولينهينهم، وليتعلمنَّ قوم من جيرانهم، ويتفطَّنون ويتفقَّهون، أو لأعاجلنَّهم بالعقوبة في دار الدنيا» فقالوا: يا رسول الله أنفطّن غيرنا؟ فأعاد قوله عليهم وأعادوا قولهم... قالوا: فأمهلنا سنة، فأمهلهم سنة ليفقهوهم ويعلموهم ويفطنوهم، ثم قرأ رسول الله ﷺ: «لُعِنَ الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم، ذلك بما عَصَوْا وكانوا يعتدون. كانوا لا يتناهَوْن عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون»[1].

ولهذا كان أبو موسى رضي الله عنه يحض الناس على التعلم والتعليم في خطبه، عن أبي المهلب قال: سمعت أبا موسى على منبره وهو يقول: من علمه الله علماً فليعلمه، ولا يقولنَّ ما ليس له به علم، فيكون من المتكلفين، ويمرق من الدين[2].

---

(١) المائدة: الآيتان ٧٨ - ٧٩، انظر حياة الصحابة ١٧٣/٣.

(٢) الطبقات ١٠٧/٤.

جعل أبو موسى مسجد البصرة مركز نشاطه العلمي، وخصص جزءاً كبيراً من وقته لمجالسه العلمية وحلقات العلم فيه، كما سيأتي معنا، ولم يكتف بذلك بل كان لا يدع فرصة تمر دون أن يستفيد منها في تعليم الناس وتفقيههم، فإذا ما سلَّم من الصلاة استقبل رضي الله عنه الناس، وأخذ يعلمهم ويضبط لهم قراءتهم للقرآن الكريم.

قال ابن شوذب: كان أبو موسى إذا صلى الصبح استقبل الصفوف رجلاً رجلاً يقرئهم[1].

وسمع مرة رجلاً يتكلم في الصلاة، فلما قضى صلاته أقبل على القوم فقال: ألا تعلمون ما تقولون في صلاتكم؟ فإن نبي الله ﷺ خطبنا فعلمنا سنتنا، وبين لنا صلاتنا، فقال: «أقيموا صفوفكم، ثم ليؤمكم أقرؤكم، فإذا كبر فكبروا، وإذا قال: ولا الضالين، فقولوا: آمين، يجبكم الله، ثم إذا كبر الإمام وركع فكبروا واركعوا، فإن الإمام يركع قبلكم ويرفع قبلكم، قال نبي الله ﷺ: فتلك بتلك، فإذا قال: سمع الله لمن حمده، فقولوا: اللهم ربنا لك الحمد، يسمع الله لكم، فإن الله عزّ وجلّ قال على لسان نبيه ﷺ: سمع الله لمن حمده، وإذا كبر الإمام وسجد، فكبروا واسجدوا، فإن الإمام يسجد قبلكم ويرفع قبلكم، قال نبي الله ﷺ: فتلك بتلك، فإذا كان

---

(١) النبلاء ٢/٣٨٩.

عند القعدة فليكن من أول قول أحدكم أن يقول: التحيات الطيبات الصلوات لله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله»[1].

قارىء القرآن

اهتم أبو موسى رضي الله عنه بالقرآن الكريم اهتماماً كبيراً، فهو أحد كبار حفاظ القرآن الكريم من الصحابة، تلقَّاه من رسول الله ﷺ مباشرةً، وسمع منه النبي ﷺ الكثير الطيب، وأقره على قراءته، وأثنى عليه بسبب جمال صوته وحسن أدائه.

لقد آتاه الله تعالى صوتاً ندياً جميلاً شجيّاً، قرأ به القرآن وتغنَّى به، وسمعه النبي ﷺ فقال له: «يا أبا موسى لقد أُوتيت مزماراً من مزامير آل داود»[2].

ومن المعلوم أن نبي الله داود عليه السلام قد آتاه الله صوتاً حسناً جميلاً، حتى إنه كان إذا قرأ الزبور ردَّدت الجبال معه والطير تسبيحه، قال تعالى: ﴿ وسخَّرنا مع داود الجبال يسبحن والطير، وكنا فاعلين ﴾[3].

---

(١) المسند ٤/٤٠٩.

(٢) متفق عليه واللفظ للبخاري رقم ٥٤٨.

(٣) الأنبياء: الآية ٧٩.

ودلَّ قوله ﷺ لأبي موسى: «لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود» على أن أبا موسى أوتي جزءاً من جمال صوت داود عليه السلام، وكل من سمعه شدَّته حلاوته، وأطربته نداوته، لقد سمعه النبي ﷺ ليلة يقرأ القرآن، فوقف يستمع لقراءته، وقال له بعد ذلك:

«لو رأيتني وأنا استمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود»[1] وآل داود معناه ههنا الشخص كما في النهاية، قال النووي رحمه الله: المراد بالمزمار هنا الصوت الحسن[2].

وجاء في بعض الروايات أن النبي ﷺ والسيدة عائشة رضي الله عنها مرّا بأبي موسى وهو يقرأ في بيته، فقاما يستمعان لقراءته.

واشتهر أبو موسى بين الصحابة بجمال صوته وحسن قراءته، فكان الناس يجتمعون عليه حين يسمعونه يقرأ، وحتى أمهات المؤمنين كنَّ يستمعن لقراءته، ففي الطبقات لابن سعد من حديث أنس أن أبا موسى قام ليلة يصلي، فسمع أزواج النبي ﷺ صوته، فقمن يستمعن، فلما أصبح قيل له، فقال: لو علمت لحبرته لهنَّ تحبيراً[3].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة رقم ٧٩٣.
(٢) هامش صحيح مسلم ١/٥٤٦.
(٣) فتح الباري ٩/٩٣. حبرته: زينتُه.

وتدل الروايات المتعددة أن النبي ﷺ استمع إلى قراءة أبي موسى أكثر من مرة، ففي الحديث الشريف عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: خرجت ليلة من المسجد، فإذا النبي ﷺ عند باب المسجد قائم، وإذا رجل يصلِّي، فقال لي: «يا بريدة أتراه يُرائي؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: بل هو مؤمن منيب، لقد أعطي مزماراً من مزامير آل داود» فأتيته فإذا هو أبو موسى، فأخبرته[1].

وكان عمر رضي الله عنه إذا جلس عنده أبو موسى طلب منه أن يقرأ له ما يتيسر له من القرآن، ويقوله له: ذكِّرنا يا أبا موسى، وفي رواية: ذكـرنا بـالله، فيقرأ ويتـلاحن[2] أي يطرِّب، وهو جائز إذا لم يخل بأحكام التجويد.

وفي كل مكان نزل فيه أبو موسى كان الناس يجتمعون عليه ليتذوقوا حلاوة القرآن الكريم من صوته الشجي الندي، قال أبو عثمان النهدي: ما سمعت مزماراً ولا طُنبوراً ولا صَنْجاً أحسن من صوت أبي موسى الأشعري. إن كان ليصلي بنا فنودُّ أنه قرأ البقرة من حسن صوته[3].

وفي روايـة أخرى عنـه قـال: دخلت دار أبي مـوسى

---

(١) رواه الذهبي في النبلاء ٢/٣٨٦ وأصله في صحيح مسلم.
(٢) النبلاء ٢/٣٩١ وأخرجه ابن سعد أيضاً وابن عساكر ورجاله ثقات.
(٣) النبلاء ٢/٣٩٢.

الأشعري، فما سمعت صوت صَنْج، ولا بَرْبط، ولا ناي أحسن من صوته[1].

معلم القرآن

قال النبي ﷺ: «خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه»[2] وكان أبو موسى رضي الله عنه من الصحابة الذين تعلَّموا القرآن من رسول الله ﷺ وعلَّموه للناس، وبذل رضي الله عنه كل ما يستطيع من جهد في تعليم القرآن ونشره بين الناس في كل البلاد التي نزل فيها، واستعان بصوته الجميل وقراءته النديّة، فاجتمع الناس عليه وازدحم حوله طلاب العلم في مسجد البصرة، فقسمهم إلى مجموعات وحِلق، فكان يطوف عليهم يُسمعهم ويستمع منهم ويضبط لهم قراءتهم، أخرج أبو نعيم عن أبي رجاء العُطاردي قال: كان أبو موسى الأشعري يطوف علينا في هذا المسجد، مسجد البصرة، يقعد حِلَقاً، فكأني أنظر إليه بين بُردين أبيضين يُقرئني القرآن، ومنه أخذتُ هذه السورة ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ قال أبو رجاء: فكانت أول سورة أُنزلت على محمد رسول الله ﷺ[3].

---

(١) قال ابن حجر: إسناده صحيح، والصنج آلة نحاسية كالطبقين يضرب أحدهما بالآخر، والبربط: آلة تشبه العود. انظر فتح الباري ٩/٩٣.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في فضائل القرآن رقم ٥٠٢٧.

(٣) حياة الصحابة ٣/٢٢٥.

فالقرآن الكريم شغله الشاغل رضي الله عنه، صرف له معظم أوقاته في حِلِّه وفي سفره، أخرج ابن سعد عن أنس بن مالك قال: بعثني الأشعري إلى عمر رضي الله عنه، فقال عمر: كيف تركت الأشعري؟ فقلت له: تركته يعلم الناس القرآن، فقال: أما إنه كيِّس[1] ولا تُسمعها إياه[2].

حتى عندما كان يخرج إلى الجهاد كان يعلم ويفقِّه، فقد أخرج عبد الرزاق عن حِطّان بن عبدالله الرّقاشي قال: كنا مع أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في جيش على ساحل دجلة، إذ حضرت الصلاة، فنادى مناديه للظهر، فقام الناس للوضوء، فتوضأ ثم صلَّى بهم، ثم جلسوا حِلَقاً، فلما حضرت العصر نادى منادي العصر، فهبَّ الناس للوضوء أيضاً فأمر مناديه: ألا لا وضوءَ إلا على من أحدث، قال: أوشك العلم أن يذهب ويظهر الجهل، حتى يضرب الرجل أمه بالسيف من الجهل[3].

وأثمرت جهوده العلمية رضي الله عنه، وقرت عينه برؤية عدد كبير حوله من حفاظ القرآن الكريم وعلمائه، زاد عددهم في البصرة وحدها على ثلاثمائة، ولما طلب عمر بن الخطاب من عماله أن يرفعوا إليه أسماء حفاظ القرآن لكي يكرمهم

---

(١) أي عاقل فطن.

(٢) حياة الصحابة ٣/٢٢٤.

(٣) وأخرجه أيضاً الطحاوي في شرح معاني الآثار. حياة الصحابة ١/٤٩٢.

ويزيد في عطائهم، كتب إليه أبو موسى أنه بلغ مَن قِبلي ممن حمل القرآن ثلاثمائة وبضع رجال، فكتب عمر إليهم:

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبدالله عمر إلى عبدالله بن قيس ومَن معه من حَمَلةِ القرآن، سلام عليكم، أما بعد: فإن هذا القرآن كائن لكم أجراً وكائن لكم شرفاً وذُخراً، فاتَّبعوه ولا يتبعنَّكم، فإنه من اتبعه القرآن زخَّ ـ دفع ـ في قفاه حتى يقذفه في النار، ومن تبع القرآن، ورد به القـرآن جنات الفردوس، فليكونن لكم شافعاً إن استطعتم، ولا يكونن بكم ماحـلًا ـ خصماً مجادلاً ـ فإن من شفع له القرآن دخل الجنة، ومن محل به القرآن دخل النار.

واعلموا أن هذا القرآن ينابيع الهدى وزهرة العلم، وهو أحدث الكتب عهداً بالرحمن، به يفتح الله أعيناً عُمْياً وآذاناً صُمّاً وقلوباً غُلْفاً. واعلموا أن العبد إذا قام من الليل فتسوَّك وتوضأ، ثم كبَّر وقرأ، وضع المَلَك فاه على فيه، ويقول: اتلُ اتلُ فقد طبت وطاب لك، وإن توضأ ولم يستك حفظ عليه ولم يعدُ ذلك.

ألا وإن قراءة القرآن مع الصلاة كنز مكنون وخير موضوع، فاستكثروا منه ما استطعتم، فإن الصلاة نور، والزكاة برهان، والصبر ضياء، والصوم جُنَّة.

والقرآن حجة لكم أو عليكم، فأكرموا القرآن ولا تهينوه، فإن الله مُكرمٌ من أكرمه ومُهينٌ من أهانه، واعلموا أنه من تلاه

وحفظه وعمل به واتبع ما فيه كانت له عند الله دعوة مستجابة، إن شاء الله عجَّلها له في دنياه، وإلا كانت له ذخراً في الآخرة، واعلموا أن ما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون[١].

وما كان أبو موسى في مجالسه يقتصر على قراءة القرآن، بل كان يعظ تلاميذه وينصحهم ويفقههم، أخرج أبو نُعيم عن أبي الأسود الديلي عن أبيه قال: جمع أبو موسى القراء، فقال: لا تدخلوا عليَّ إلا من جمع القرآن، قال: فدخلنا عليه زهاء ثلاثمائة، فوعظنا وقال: أنتم قراء أهل البلد، فلا يطولنَّ عليكم الأمد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب أهل الكتاب، ثم قال: لقد أنزلت سورة كنا نشبهها ببراءة طولاً وتشديداً حفظت منها آية: لو كان لابن آدم واديان من ذهب لالتمس إليهما وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب[٢]. وأنزلت سورة كنا نشبهها بالمسبِّحات، أولها سبح لله، حفظت آية كانت فيها: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ﴾[٣] فتكتب شهادة في أعناقكم ثم تسألون عنها يوم القيامة[٤].

---

(١) حياة الصحابة ٣/٢٣٣.

(٢) هذا من القرآن المنسوخ.

(٣) الصف: الآية ٢.

(٤) وهذا أيضاً من القرآن المنسوخ. انظر الحلية ١/٢٥٧ وحياة الصحابة ٣/٢٣٥ وصحيح مسلم ٢/٧٢٦.

اهتم أبو موسى رضي الله عنه أيضاً بتعليم السنة وروايتها، فروى عن رسول الله ﷺ الكثير الطيّب، كما روى عن كبار الصحابة رضي الله عنهم، كما مرَّ معنا. وروى عنه عدد من الصحابة وكبار علماء التابعين، قال الذهبي رحمه الله: حدَّث عنه بُريدةُ بن الحُصَيْب، وأبو أمامة الباهلي، وأبو سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وطارق بن شهاب، وسعيد بن المسيِّب، والأسود بن يزيد، وأبو وائل شقيق بن سلمة، وزيد ابن وهب، وأبو عثمان النَّهدي، وأبو عبد الرحمن النَّهدي، ومُرَّة الطيِّب، ورِبْعيُّ بن حِراش، وزَهْدَمُ بن مضرِّب، وخَلْقٌ سواهم[1] وأكثر الناس رواية عنه وتلقياً ولده أبو بُردة كما يلاحظ المتتبع لمسنده.

وكان رضي الله عنه شديد التمسك بسنة النبي ﷺ، دلَّ على ذلك ما أوصى به أولاده وأهله عند موته كما مر معنا، وفي المسند أن أبا موسى صلَّى بأصحابه وهو مرتحل من مكة إلى المدينة، فصلَّى العشاء ركعتين[2] وسلم، ثم قام فقرأ مائة آية من سورة النساء في ركعة، فأُنكر ذلك عليه، فقال: ما ألوت أن أضع قدمي حيث وضع رسول الله ﷺ قدمه، وأن

---

(١) النبلاء ٢/٣٨١.

(٢) قصر الصلاة لأنه مسافر.

أصنع مثل ما صنع رسول الله ﷺ[1]. كأنه رضي الله عنه شاهد الرسول ﷺ في هذا المكان يصلِّي ويقرأ في ركعة واحدة مائة آية، فحرص على أن يقف في نفس المكان يصلي كما كان رسول الله ﷺ يصلي.

ومع حرصه الشديد على السنة لم يكثر رضي الله عنه من رواية الأحاديث النبوية الشريفة كما هو حال كبار الصحابة رضي الله عنهم، فقد كانوا يتهيبون من الرواية عن النبي ﷺ مخافة الزلل والخطأ، أخرج أحمد وابن عدي والعُقيلي وأبو نعيم في المعرفة عن أسلم قال: كنا إذا قلنا لعمر رضي الله عنه: حدثنا عن رسول الله ﷺ، قال: أخاف أن أزيد حرفاً أو أنقص حرفاً، إن رسول الله ﷺ قال: «من كذب عليّ متعمداً فهو في النار»[2].

ومرَّ معنا أن عمر كان يوصي عماله أن يهتموا بالقرآن، وألا يكثروا من رواية السنة، وكان أبو موسى شديد الطاعة لعمر رضي الله عنهما.

بلغ مسند أبي موسى ثلاثمائة وستين حديثاً، قال الذهبي: له في مسند بقي[3] ثلاث مائة وستون حديثاً، ووقع له في الصحيحين تسعة وأربعون حديثاً، وتفرَّد البخاري بأربعة

(١) المسند ٤/٤١٩.

(٢) حياة الصحابة ٣/٢٣٨.

(٣) بقي بن مخلد الأندلسي، يقال إن مسنده أوسع المسانيد.

أحاديث، ومسلم بخمسة عشر حديثاً، وكان إماماً ربانياً[1].

وكان رضي الله عنه يرغب أولاده بحفظ السنة وروايتها مشافهة، ويأمرهم أن يمحوا ما كتبوه عنه، قال أبو بردة: قال أبي: ائتني بكل شيء كتبته فمحاه، ثم قال: احفظ كما حفظت[2]، مع أنه رضي الله عنه تعلَّم الكتابة بعد وفاة النبي ﷺ، فقد روى عنه أبو بردة قال: إني تعلمت المعجم بعد وفاة النبي ﷺ فكانت كتابتي مثل العقارب[3].

نماذج من مروياته

وإلى القارىء الكريم نماذج من الأحاديث التي رواها أبو موسى رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ إلى جانب ما مرَّ معنا:

● قال رسول الله ﷺ: «المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأُتْرُجة طعمها طيِّبٌ، وريحها طيب، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن، ويعمل به كالتمرة، طعمها طيب ولا ريحَ لها، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالـرَّيْحانـة، ريحها طيب وطعمها مُرٌّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كالحنظلة طعمها مُرٌّ ـ أو خبيث ـ وريحها مُرٌّ»[4].

---

(١) النبلاء ٢/ ٣٩٩.

(٢) المرجع نفسه ٢/ ٤٠١.

(٣) المرجع نفسه ١/ ٣٨٩.

(٤) متفق عليه واللفظ للبخاري في فضائل القرآن ٥٠٥٩.

● عن النبي ﷺ قال: «تعاهدوا القرآن، فوالذي نفسي بيده لهو أشدُّ تفصِّياً من الإبل في عُقُلها»[1] ولفظ رواية مسلم: «أشد تفلُّتاً».

● قال رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشدُّ بعضُه بعضاً»[2].

● عن أبي موسى قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: «إن الله عزّ وجلّ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفضُ القِسْطَ ويرفعُه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النورُ لو كشفه لأحرقت سُبُحاتُ وجهه ما انتهى إليه بصرُه من خلقه»[3].

ومعنى قوله: (ولا ينبغي له أن ينام) أي يستحيل في حقه النوم لكماله جل وعلا.

وقوله: (قبل عمل الليل) الذي بعده، وعمل النهار قبل عمل الليل الذي بعده.

وقوله: (حجابه النور) أي المانع من رؤيته جل وعلا كما قال النووي في شرحه لصحيح مسلم.

---

(١) متفق عليه واللفظ للبخاري في فضائل القرآن رقم ٥٠٣٣.
(٢) صحيح مسلم في كتاب البر والصلة رقم ٢٥٨٦.
(٣) صحيح مسلم في كتاب الإيمان رقم ٢٩٣.

وقوله: (سُبُحات وجهه) أي نوره وجلاله وبهاؤه.

وقوله: (ما انتهى إليه بصره من خلقه) المراد منه جميع خلقه لأن بصره سبحانه محيط بجميع الكائنات[1].

● قال الشعبي: حدثني أبو بُردة ابن أبي موسى عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة يُؤتَوْن أجورهم مرَّتين: رجلٌ من أهل الكتاب آمن بنبيه، وأدرك النبيَّ ﷺ فآمن به واتَّبعه وصدَّقه، فله أجران، وعبد مملوك أدّى حق الله تعالى وحقَّ سيده، فله أجران، ورجل كانت له أَمَةٌ فغذَاها فأحسن غذاءَها، ثم أدَّبها فأحسن أدبها، ثم أعتقها وتزوَّجها، فله أجران».

قال الشعبي للخراساني ـ السائل عن الحديث ـ خذ هذا الحديث بغير شيء فقد كان الرجل يرحل فيما دون هذا إلى المدينة[2].

● عن أبي موسى قال: قلت: يا رسول الله أي الإسلام أفضل؟ قال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده»[3].

● عن أبي بكر بن عبدالله بن قيس عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «جنتان من فضة آنيتُهما وما فيهما، وجنتان من ذهب

(١) انظر هامش صحيح مسلم ١/١٦٢.
(٢) صحيح مسلم في كتاب الإيمان رقم ١٥٤.
(٣) متفق عليه واللفظ لمسلم في كتاب الإيمان ٤٢.

آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكِبرياءِ على وجهه في جنة عدن»[1].

● عن أبي بكر عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «من صلى البَرْدَيْن دخل الجنة»[2] أي صلاة الفجر والعصر.

● عن أبي بُردة عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «مثلُ البيت الذي يُذكر اللهُ فيه، والبيتِ الذي لا يذكر الله فيه ـ مثَلُ الحيِّ والميِّتِ»[3].

● عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «على كل مسلم صدقة، قيل: أرأيت إن لم يجد؟ قال: يعتمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق، قيل: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: يُعين ذا الحاجة الملهوفَ، قيل له: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: قال: يأمر بالمعروف أو الخير، قال: أرأيت إن لم يفعل؟ قال: يُمْسِكُ عن الشَّرِّ، فإنها صَدَقةٌ»[4].

● عن أبي موسى قال: سُئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعةً، ويقاتل حَميَّةً، ويقاتل رياءً، أيُّ ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «من قاتل لتكون كلمةُ الله هي العُلْيا، فهو في سبيل الله»[5].

---

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم في كتاب الإيمان ١٨٠.
(٢) متفق عليه واللفظ لمسلم في كتاب الصلاة ٦٣٠.
(٣) متفق عليه واللفظ لمسلم في كتاب الصلاة ٧٧٩.
(٤) متفق عليه واللفظ لمسلم في كتاب الزكاة ١٠٠٨.
(٥) متفق عليه واللفظ لمسلم في كتاب الإمارة رقم ١٩٠٤.

● عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «إن مَثَلَ ما بعثني الله به عزَّ وجلَّ من الهُدى والعلم كَمَثلِ غَيْثٍ، أصاب أرضاً، فكانت منها طائفةٌ طيِّبَةٌ، قبلت الماء، فأنبتتِ الكلأ والعُشْبَ الكثير، وكان منها أجادبُ، أمسكت الماء، فنفع الله بها الناسَ، فشربوا وسَقَوْا ورَعَوْا، وأصاب طائفة منها أخرى، إنما هي قِيعان لا تُمسك ماءً ولا تُنْبتُ كلأً، فذلك مثَلُ مَنْ فقُه في دين الله ونفعَه بما بعثني الله به، فعلم وعلَّم، ومثلُ مَنْ لم يرفع بذلك رأساً، ولَم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»[1].

● حدثنا عبدالله بن بَراد الأشعريُّ وأبو كُرَيْب، قالا حدثنا أبو أسامة عن بُريْد عن أبي بُردة عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «إن مثَلي ومثلَ ما بعثني الله به، كمثل رجل أتى قومه، فقال: يا قومِ إني رأيت الجيش بعيني، وأنا النذيرُ العُريان[2]، فالنجاءَ. فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا[3]، فانطلقوا على مُهْلَتِهم، وكذَّبت طائفة منهم، فأصبحوا مكانهم، فصبَّحهم الجيشُ فأهلَكهم واجتاحهم، فذلك مثلُ من أطاعني واتبع ما جئتُ به، ومثلُ من عصاني وكذَّب ما جئتُ به من الحق»[4].

---

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم في كتاب الفضائل ٢٢٨٢.

(٢) كذلك كان يفعل الرجل إذا أراد تحذير قومه من خطر داهم.

(٣) ساروا أول الليل.

(٤) متفق عليه واللفظ لمسلم من كتاب الفضائل ٢٢٨٣.

● عن سعيد بن أبي بردة عن أبي بردة عن أبيه قال: صلَّينا المغرب مع رسول الله ﷺ، ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العِشاءَ، قال: فجلسنا، فخرج علينا فقال: «ما زلتُم هـٰهنا؟» قلنا: يا رسول الله صلينا معك المغرب، ثم قلنا: نجلس حتى نصليَ معك العِشاءَ، قال: «أحسنتم، أو أصبتم» قال: فرفع رأسه إلى السماء، وكان كثيراً مـا يرفع رأسه إلى السماء، فقال: «النجوم أَمَنَةٌ للسماء[1] فإذا ذهبت النجومُ أتى السماءَ ما توعدُ، وأنا أَمَنَةٌ لأصحابي[2]، فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أَمَنَةٌ لأمتي، فـإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»[3].

● عن أبي موسى قال: كان رسول الله ﷺ إذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه فقال: «اشْفعوا فلْتُؤجَروا، ولْيَقْضي اللهُ على لسان نبيِّه ما أحبَّ»[4].

● عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «إنما مَثَلُ الجليسِ الصالحِ والجليسِ السوءِ، كحامل المِسْكِ ونافخِ الكِيرِ، فحاملُ المسك إمَّا أن يُحْذِيَكَ ـ يعطيكَ ـ وإما أن تبتاع منه،

---

(١) أي تبقى ما بقيت النجوم.
(٢) من الفتن والاختلاف وغير ذلك مما حذَّر منه أصحابه.
(٣) صحيح مسلم في فضائل الصحابة ٢٥٣١.
(٤) متفق عليه واللفظ لمسلم في كتاب البر ٢٦٢٧.

وإما أن تجد منه ريحاً طيِّبَةً، ونافخُ الكِيرِ إما أن يُحرق ثيابَك، وإما أن تجد ريحاً خبيثَةً»[1].

● عن أبي موسى عن النبي ﷺ أنه كـان يدعـو بهذا الدعاء: «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسـرافي في أمري، وما أنت أعلمُ به مني. اللهم اغفر لي جِدّي وهَزْلي، وخطئي وعَمْدي، وكلُّ ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدَّمْتُ وما أخَّرتُ، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدِّمُ وأنت المؤخِّرُ، وأنت على كل شيء قدير»[2].

● عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «إن الله عزَّ وجلَّ يبسُطُ يده بالليل ليتوبَ مُسيءُ النهارِ، ويبسُط يده بالنهار ليتوبَ مُسيءُ الليل، حتى تطلعَ الشمسُ من مغربِها»[3].

● عن أبي بردة قال: دخلْتُ على أبي موسى وهو في بيت بنت الفضل بن عباس[4]، فعطسْتُ فلم يُشَمِّتْني، وعطسَتْ فشمَّتَها، فرجعتُ إلى أمي فأخبرتُها، فلما جاءها قالت:

---

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم في البر ٢٦٢٨.
(٢) صحيح مسلم في كتاب الذكر ٢٧١٩.
(٣) صحيح مسلم في كتاب التوبة ٢٧٥٩.
(٤) هي أم كلثوم بنت الفضل بن عباس امرأة أبي موسى الأشعري، تزوجها بعد فراق الحسن بن علي لها، وولدت لأبي موسى ابنه موسى، ومات عنها فتزوجها بعده عمران بن طلحة، ففارقها وماتت بالكوفة ودفنت بظاهرها. انظر حاشية صحيح مسلم ٤/٢٢٩٢. وفي المسند بلفظ: بنت أم الفضل.

عطَس عندك ابني فلم تُشمِّتْهُ وعطستْ فشمَّتَّها، قال: إن ابنك عَطَسَ فلم يحمدِ الله فلم أشمّتْهُ، وعطستْ فحمدت الله فشمَّتُّها، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا عطس أحدُكم فحمد اللهَ فشمِّتوه، فإن لم يحمدِ اللهَ فلا تُشَمِّتُوه»[1].

● عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «من لعب بالنَّرْدِ فقد عصى اللهَ ورسولَه»[2].

---

(١) صحيح مسلم كتاب الزهد رقم ٢٩٩٢.

(٢) رواه أحمد في المسند ٤/٣٩٤ وله شاهد في صحيح مسلم.

أسـرة العُـلمَاء

جعل الله تعالى في أولاد أبي موسى الأشعري وأحفاده وفروعهم عدداً كبيراً من العلماء والقضاة ورواة السنة، وذلك ببركة الدعوات التي نالها أبو موسى من النبي ﷺ وببركة إخلاصه رضي الله عنه.

وقد ذكرت في البحث الماضي (نماذج من مروياته) بعض الأحاديث بأسانيدها في الصحيحين لأظهر كثرة رواة السنة الذين قدمتهم أسرة أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، فهي بحق أسرة العلماء.

فمن أولاده أبو بُردة، وأبو بكر، وموسى، وعبد الرحمن.

ومن أحفاده: سعيد بن أبي بردة، وبُريد بن أبي بردة، والضحاك بن عبد الرحمن، وما أكثر ما نجد في مسنده مثل هذه الأسانيد التي أكثر سلسلة رواتها من أسرة أبي موسى.

ففي صحيح مسلم: حدثنا عبدالله بن براد الأشعري وأبو

كريب، قالا حدثنا أبو أسامة عن بريد، عن أبي بردة، عن أبي موسى، عن النبي ﷺ[1].

وتأمل هذا السند: حماد بن أسامة، عن بريد بن عبدالله، عن أبي بردة، عن جده أبي بردة، عن أبي موسى[2].

وكلهم من رجال الصحيحين موثَّقون عدول، غير مجروحين ولا متهمين.

أبو بردة الأشعري

ويُعد أبو بردة بن أبي موسى الأشعري أشهرهم وأكثرهم رواية عن أبيه رضي الله عنه.

وقد اختلف العلماء في اسمه لأن كنيته غلبت على اسمه، كما غلبت كنية أبي هريرة على اسمه، فأدى ذلك إلى الاختلاف المعروف بين العلماء في اسم أبي هريرة رضي الله عنه.

ذكر بعضهم أن اسم أبي بردة الحارث، وقيل عامر، وقيل اسمه كنيته، ورجح ابن حبَّان أن اسمه عامر، ولم يذكر البخاري في تاريخه غيره، وقال النسائي في الكنى: أنبأنا أحمد بن علي بن سعيد، سمعت يحيى بن معين يقول:

(١) انظر نماذج من مروياته.
(٢) المسند ٤/٣٩٤.

اسم أبي بردة عامر، وذكر المدائني أنه ولد لأبي موسى لما كان أمير البصرة، يعني في خلافة عمر بن الخطاب أو عثمان[1].

وأبو بردة من كبار رواة السنة، روى عن أبيه وعلي وحذيفة، وعبدالله بن سلام، والأغر المزني، والمغيرة، وعائشة، ومحمد بن مسلمة، وابن عمر، وابن عمرو رضي الله عنهم.

وروى عن كبار التابعين كالأسود بن يزيد، وعروة بن الزبير، وهو من أقرانه، وغيرهما.

وروى عنه أولاده: سعيد، وبلال، وحفيده أبو بردة، والشعبي وهو من أقرانه، وعاصم بن كليب، وإبراهيم بن عبد الرحمن، وأبو ضمرة، وثابت البناني، وحميد بن هلال. . . .

قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث، وقال العِجْلي: كوفي تابعي ثقة، وقال: كان على قضاء الكوفة بعد شُريح، وكان كاتبه سعيد بن جبير. قال الواقدي وغيره: مات سنة ثلاث ومائة، وقال ابن حبان وخليفة وغيرهما: مات سنة أربع ومائة[2].

---

(١) انظر تهذيب التهذيب ١٢/١٨ ـ ١٩.
(٢) المرجع نفسه.

أبو الحسن الأشعري

والجدير بالذكر أن الإمام الكبير أبا الحسن الأشعري من العلماء العظام الذين قدمتهم للأمة الإسلامية أسرة أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. فهو الإمام الكبير الذي ردَّ على المعتزلة، وكشف ضلالهم وزيفهم، بعد أن رفعوا رؤوسهم، فحجزهم بقوة حجته في أقماع السمسم، وقمع بدعتهم، ورد أيضاً على الملحدة والرافضة والجهمية والخوارج وسائر أصناف المبتدعة، وأكثر المسلمين في الأقطار الإسلامية ينتسبون إلى عقيدته التي استقر عليها أمره.

وقد قام مؤخراً في عام ١٤٠٩ هـ مركز شؤون الدعوة في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، بنشر كتاب: الإبانة عن أصول الديانة، لمؤلفه أبي الحسن الأشعري رحمه الله، مع مقدمة ضافية عن هذا الإمام الكبير، كتبها فضيلة الشيخ حماد بن محمد الأنصاري، جزاه الله خيراً، وأثبتت عنوان الكتاب بالشكل التالي:

الإبانة عن أصول الديانة

لإمام المتكلمين: أبي الحسن علي بن إسماعيل، بن إسحاق، بن سالم، بن إسماعيل، بن عبدالله، بن موسى، ابن بلال، بن أبي بردة، بن أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله ﷺ، المتوفى سنة بضع وعشرين وثلاثمائة(١).

---

(١) انظر الطبعة الخامسة للكتاب المذكور.

أبو موسى القاضي الفقيه

ومن مناقب أبي موسى الأشعري وفضائله أيضاً أنه كان من كبار قضاة الصحابة وفقهائهم، حتى عدَّه العلماء رابع قضاة الأمة[1] فلم يتقدم عليه سوى عمر وعلي وزيد بن ثابت رضي الله عنهم، فهو التلميذ النجيب في القضاء والفقه لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب، تأثر به كثيراً، كما مر معنا، وتلقى الكثير من وصاياه عندما كان يجالسه وبواسطة الكتب الكثيرة التي أرسلها عمر إليه.

وكان أبو موسى يتأنى في أحكامه، ولا يتسرع في إصدار الأحكام حتى يظهر له الحق، ويقول: لا ينبغي للقاضي أن يقضي حتى يتبين له الحق كما يتبين له الليل من النهار. فبلغ ذلك عمر فقال: صدق أبو موسى[2].

قال مسروق: كان القضاء في الصحابة إلى ستة: عمر،

(١) انظر معجم فقه السلف ٩/٧٢.
(٢) الطبقات ٢/١١٣.

وعلي، وابن مسعود، وأبيّ، وزيد، وأبي موسى[1].

وقال الشعبي: قضاة الأمة: عمر، وعلي، وزيد، وأبو موسى[2].

ويستدعي القضاء التمكن من الفقه وأحكامه، وكذلك كان أبو موسى فقد كان فقيهاً، يفتي منذ عهد النبي ﷺ، قال صفوان بن سليم، لم يكن يفتي في المسجد زمن رسول الله ﷺ غير هؤلاء: عمر، وعلي، ومعاذ، وأبي موسى[3].

ومع مكانته الكبيرة بين الصحابة ما كان رضي الله عنه يتردد في السؤال عن أي حكم فقهي يجهله مهما كان هذا الحكم، ولو كان من أخص خصوصيات المسؤول. روى الإمام مسلم بسنده عن أبي موسى قال: اختلف في ذلك رهْطٌ من المهاجرين والأنصار، فقال الأنصاريّون: لا يجب الغُسل إلا من الدَّفْقِ أو من الماء، وقال المهاجرون: بل إذا خالط فقد وجب الغُسل، قال أبو موسى: فأنا أشفيكم من ذلك، فقمتُ فاستأذنت على عائشة، فأُذن لي، فقلتُ لها: يا أُمَّاه ـ أو يا أم المؤمنين ـ إني أريد أن أسألك عن شيء، وإني أَسْتحْييكِ، فقالت: لا تسْتَحْيـي أن تسألني عما كنت سائلًا عنه أمَّكَ التي ولدتك، فإنما أنا أمُّك، قلتُ: فما

---

(١) (٢) النبلاء ٢/٣٨٩.

(٣) المرجع نفسه ٢/٣٨٩.

يوجب الغسل؟ قالت: على الخبير سقطْتَ، قال رسول الله ﷺ: «إذا جلس بينَ شُعَبها الأربع، ومَسَّ الختانُ الختانَ، فقد وجب الغسل»[1].

وإذا ما أُفتى في مسألة ثم تبين له أنه أخطأ في الحكم أعلن تراجعه على الناس، مما يدل على إخلاصه وتواضعه رضي الله عنه، روى البخاري بسنده إلى هُزيل بن شُريح قال: سُئل أبو موسى عن ابنة وابنة ابن وأختٍ، فقال: للابنة النصف، وللأخت النصف، وائتِ ابن مسعود فسيتابعني، فسُئل ابن مسعود، وأُخبر بقول أبي موسى، فقال: لقد ضللتُ إذاً وما أنا من المهتدين، أقضي فيها بما قضى النبي ﷺ: للابنة النصف، ولابنة الابن السدس تكملة الثلثين، وما بقي فللأخت، فأتينا أبا موسى فأخبرناه، فقال: لا تسألوني ما دام هذا الحَبْر فيكم[2].

قال ابن حجر: قال ابن بطّال: فيه أن العالم يجتهد إذا ظن ألَّا نص في المسألة، ولا يتولَّى الجواب إلى أن يبحث عن ذلك، وفيه أن الحجة عند التنازع سنةُ النبي ﷺ فيجب الرجوع إليها، وفيه ما كانوا عليه من الإنصاف والاعتراف بالحق والرجوع إليه، وشهادة بعضهم لبعض بالعلم والفضل،

---

(١) صحيح مسلم في كتاب الحيض رقم ٣٤٩.
(٢) صحيح البخاري في كتاب الفرائض ٦٧٣٦.

وكثرة اطلاع ابن مسعود على السنة، وتثبُّت أبي موسى في الفتيا حيث دلَّ على من ظن أنه أعلم منه[1].

ولهذا وثق الناس بعلمه وفقهه رضي الله عنه، وانتقلت هذه الثقة إلى ولده أبي بردة، ففي صحيح مسلم عنه قال: قال لي عبدالله بن عمر: أسمعت أباك يحدِّث عن رسول الله ﷺ في شأن ساعة الجمعة؟ قال: قلتُ: نعم، سمعته يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة»[2].

---

(١) فتح الباري ١٨/١٢.

(٢) صحيح مسلم في كتاب الجمعة رقم ٨٥٣.

أبو موسى العابد الورع

اشتهر رضي الله عنه بكثرة عبادته وشدة ورعه وخوفه من الله تعالى، وحيائه منه جل جلاله، قال عنه الإمام الذهبي: قد كان أبو موسى صوّاماً قوّاماً ربّانياً زاهداً عابداً، ممن جمع العلم والعمل والجهاد وسلامة الصدر، لم تغيّره الإمارة ولا اغترَّ بالدنيا[1].

كان رضي الله عنه كثير التهجد، يصرف جزءاً كبيراً من الليل لقراءة القرآن في صلاة الليل، يفعل ذلك في جميع أحواله، في الحضر والسفر، والسلم والحرب، وقد مرّ معنا كثير من أخباره في هذا الشأن، وفيها أن النبي ﷺ استمع إليه وهو يقرأ القرآن في صلاة الليل، أكثر من مرة. وقد نال رضي الله عنه في إحدى المرات شهادة رفيعة من النبي ﷺ، فعن بُريدة قال: خرجت ليلة من المسجد، فإذا النبي ﷺ عند باب المسجد قائم، وإذا رجل يصلي، فقال لي: «يا بريدةُ أتراه يُرائي»؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «بل هو مؤمن

(١) النبلاء ٢/٣٩٦.

منيب، لقد أعطي مزماراً من مزامير آل داود» فأتيته فإذا هو أبو موسى، فأخبرته[1].

وهذه الشهادة من النبي ﷺ أولى مما نسب إلى حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، فقد روي عن الأعمش عن شقيق قال: كنا مع حذيفة جلوساً، فدخل عبدالله وأبو موسى المسجد، فقال: أحدهما منافق، ثم قال: إن أشبه الناس هَدْياً ودَلًّا وسَمْتاً برسول الله ﷺ عبدُالله، يعني ابن مسعود.

قال الذهبي رحمه الله بعد ذكر هذه الرواية: ما أدري ما وجه هذا القول سمعه عبدالله بن نمير منه، ثم يقول الأعمش: حدثناهم بغضب أصحاب محمد ﷺ، فاتخذوه ديناً[2].

وهذا يدل على أن هذا الكلام إن صحت نسبته إلى حذيفة قد صدر عنه وهو في حال غضب، قد يقول الإنسان فيها كلاماً لا يعتقد أحقيته، ومهما قيل في ذلك فشهادة النبي ﷺ لأبي موسى بالإيمان والإنابة أعلى وأولى، فضلاً عما ناله رضي الله عنه من بشارة النبي ﷺ ودعواته كما مر معنا.

وكان رضي الله عنه حريصاً على صرف كل أوقاته في ذكر الله تعالى وطاعته وعبادته، عن أنس بن مالك رضي الله عنه

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢/٣٩٢ وأصله في صحيح مسلم.

(٢) المرجع نفسه ٢/٣٩٤.

قال: كنا مع أبي موسى في مسيرٍ له، فسمع الناس يتحدثون، فسمع فصاحة، فقال: مالي يا أنس، هلمَّ فلنذكر ربنا، فإن هؤلاء يكاد أحدهم أن يفري الأديم بلسانه، ثم قال لي: يا أنس ما أبطأ بالناس عن الآخرة وما ثبَّرهم[1] عنها؟ قال: قلت: الشهوات والشيطان، قال: لا والله، ولكن عُجلت لهم الدنيا وأُخرت الآخرة، ولو عاينوا ما عدلوا ولا ميَّلوا[2].

وفي المسند عنه رضي الله عنه قلت لصاحب لي: تعال فلنجعل يومنا هـذا لله عزّ وجلّ، فلكأنما شهَدَنا رسولُ الله ﷺ، فقال: ومنهم من يقول: تعال فلنجعل يومنا هذا لله عزّ وجلّ، فما زال يرددها حتى تمنيت أن أسيخ في الأرض[3].

وكان رضي الله عنه يجمع في قيامه بالليل بين الصلاة وقراءة القرآن والدعاء والمناجاة، فعن مسروق قال: خرجنا مع أبي موسى في غزاة، فجنَّنا الليلُ في بستان خَرِبٍ، فقام أبو موسى يصلي، وقرأ قراءة حسنـة، وقال: اللهم أنت المؤمن تحب المؤمن، وأنت المهيمن تحب المهيمن، وأنت السلام تحب السلام[4].

---

(١) حبسهم عنها.
(٢) الحلية ١/٢٥٩.
(٣) المسند ٤/٤٠٣.
(٤) النبلاء ٢/٣٩٣.

وكما كان رضي الله عنه في ليله قائماً مناجياً، كان في نهاره صائماً عابداً فقد اشتهر بكثرة صيامه، وكان يتخير لصيامه الأيام الحارة الطويلة، حتى قال ولده أبو بُردة: وكان أبو موسى لا تكاد تلقاه في يوم حار إلا صائماً[1]. ولعل سبب ذلك سريته في البحر والهاتف الذي سمعه في أثنائها، الذي سبق ذكره في جهاده في عهد النبي ﷺ.

وكلما تقدمت به السن ضاعف من عبادته رضي الله عنه، ولما قيل له قبل موته لو أمسكت ورفقت بنفسك، قال: إن الخيل إذا أُرسلت فقاربت رأس مجراها، أخرجت جميع ما عندها، والذي بقي من أجلي أقل من ذلك[2].

وكان رضي الله عنه عظيم المراقبة لله عزّ وجلّ، شديد الخشية، وقد أورثه ذلك شدة حياء من ربه جل وعلا، ولهذا كان حريصاً على ألا تنكشف عورته أبداً حتى في أثناء الاغتسال، فيغتسل في البيت المظلم حانياً ظهره، روي عنه أنه قال: إني لأغتسل في البيت المظلم، فأحني ظهري حياءً من ربي[3]. ولا ينتصب قائماً حتى يأخذ ثوبه، وإذا نام لبس السراويل لكي لا تنكشف عورته، فعن أنس بن مالك قال: كان أبو موسى إذا نام لبس تبّاناً مخافة أن تنكشف عورته[4].

---

(١) (٢) النبلاء ٢/٣٩٣.

(٣) الطبقات ٤/١١٣.

(٤) النبلاء ٢/٣٩٩.

ويغض طرفه عن المحرمات، ويقول: لأن يمتلىء مَنْخري من ريح جيفة أحبُّ إليَّ من أن يمتلىء من ريح امرأة[1].

وورعه وشدة خوفه من الله تعالى هو سبب اعتزاله للخلاف الذي حدث بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، فقد كان رضي الله عنه يخشى أن يسأله الله تعالى عن أي ظلامة في عنقه لمسلم، ولهذا اعتزل وحرص أن يخرج منها تقياً نقياً لم يُصب دماً ولا مالاً، ومر معنا أنه خرج من البصرة بعد أن عزل عنها وما معه إلا ستمائة درهم، مع العلم أنه فتح بلاداً كثيرة وغنم غنائم عظيمة، وقد نقل الذهبي عن تاريخ خليفة أن خراج الأهواز بلغ بعد أن افتتحها أبو موسى عشرة آلاف ألف وأربع مائة ألف[2].

وكان رضي الله عنه أيضاً رقيق القلب غزير الدمع كثير البكاء، يخطب الناس فيذكرهم بالله تعالى ويبكي ويأمرهم بالبكاء، ومن خطبه في البصرة قوله: يا أيها الناس ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا، فإن أهل النار يبكون الدموع حتى تنقطع، ثم يبكون الدماء، حتى لو أرسلت فيها السفُنُ لجَرَت[3].

ومن أقواله رضي الله عنه:

● إنما أهلك من كان قبلكم هذا الدينار والدرهم، وهما مهلكاكم.

---

(١) النبلاء ٢/٣٩٩ وابن سعد ٤/١١٥.

(٢) انظر النبلاء ٢/٣٩٠.

(٣) الحلية ١/٢٦١.

● إنما سمِّي القلب لتقلبه، وإنما مثل القلب مثل ريشة بفلاة من الأرض.

● يا أيها الناس إنكم اليوم في زمان للعامل فيه لله تعالى أجر، وسيكون بعدكم زمان للعامل لله تعالى فيه أجران[1].

---

(١) الحلية ١/٢٦١.

الخاتـمة

هـذا هو أبـو موسى الأشعـري الصحابي، المهـاجـر، المجاهد، العابد، الخاشع، الحيـيُّ، السِّتيـر، القارىء، المقرىء، المعلم، الذي لم تغيِّرْه المناصب والرتب والذي تولى أعلى المناصب وأرفعها، وقاد الكتـائب والجيوش، وحضر الحتوف والزحوف، ثم خرج بعد ذلك منها كما دخل نقياً تقياً براً كريماً. رضي الله عنه وأرضاه.

أسأل الله سبحانه الهداية والثبات، والوفاة على الإيمان واللحاق بالصالحين. ﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمـان، ولا تجعل في قلوبنا غِلًّا للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾.

وصلّى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهـم بإحسان إلى يوم الدين.

المراجـــع

- صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري لابن حجر، نشر رئاسة إدارة البحوث.
- صحيح مسلم، تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.
- مسند الإمام أحمد، نشر المكتب الإسلامي.
- الترغيب والترهيب للمنذري، الطبعة القطرية.
- جامع الأحاديث للمسانيد والمراسيل، للسيوطي، جمع وترتيب أحمد عبد الجواد.
- حياة الصحابة، للكاندهلوي، نشر دار القلم.
- تاريخ الأمم والملوك للطبري، تحقيق محمد أبو الفضل، دار سويدان بيروت.
- البداية والنهاية، لابن كثير، ط. ٣، مكتبة المعارف بيروت.
- الكامل لابن الأثير، ط. ٢، دار الكتاب العربي بيروت.
- سير أعلام النبلاء، للذهبي، المشرف على التحقيق شعيب أرناؤوط، ط. ١ مؤسسة الرسالة.
- حلية الأولياء، لأبي نعيم، دار الكتاب العربي، بيروت.
- الطبقات لابن سعد، دار صادر، بيروت.
- أسد الغابة، لابن الأثير، نشر المكتبة الإسلامية.

ـ تذكرة الحفاظ للذهبي، ط. ٣، نشر دائرة المعارف العثمانية.
ـ تهذيب التهذيب، نشر دار صادر، بيروت.
ـ دراسات في أنساب قبائل اليمن، لأحمد حسين، نشر دار الكتاب العربي.
ـ معجم فقه السلف، للمنتصر الكتاني، نشر جامعة أم القرى.
ـ مقدمة كتاب الإبانة عن أصول الديانة بقلم حماد الأنصاري، ط. ٥، نشر الجامعة الإسلامية.
ـ العواصم من القواصم، لابن العربي، تحقيق وتعليق محب الدين الخطيب، ط. ٣.
ـ التعليق المغني على سنن الدارقطني لمحمد شمس الحق، طبع لاهور باكستان.
ـ السيرة النبوية، لابن هشام، تعليق طه عبد الرؤوف، نشر مكتبة الكليات الأزهرية.
ـ السيدة عائشة أم المؤمنين وعالمة نساء الإسلام، للمؤلف، دار القلم.
ـ عبدالله بن عباس الإمام البحر عالم العصر، للمؤلف، دار القلم.
ـ معاذ بن جبل إمام العلماء ومعلم الناس الخير، للمؤلف، دار القلم.
ـ أنس بن مالك الخادم الأمين والمحب العظيم، للمؤلف، دار القلم.

الفهرس

الفصل الثالث

مناقبه وفضائله